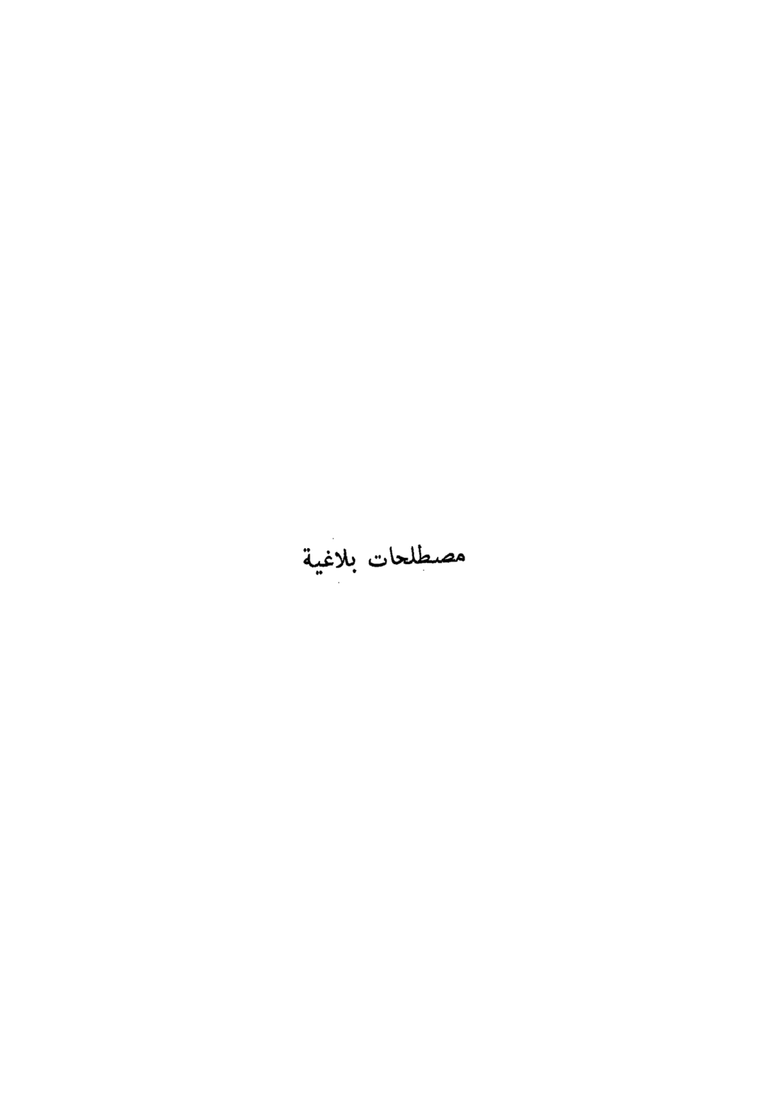
الدكتور احمد مطلوب



ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره





مصطلحات بلاغية

الدكتور أحمد مطلوب



ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره



الطبعة الاولى

١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

بغـداد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

المصطلحات اساس الدراسات العلمية لانها ترسم معالمها وتوضح مبادئها . والبلاغة العربية من الفنون التى استقرت أصولها وتحددت قواعدها وأخذت مصطلحاتها معانيها بعد ان عبرت أجيالا كثيرة وشهدت جهودا عظيمة .

ولا يستطيع الباحث ان يحدد تأريخ تلك المصطلحات ، لانه ليس من اليسير ان نؤرخ نشأة فن من الفنون أو علم من العلوم . وكل ما يمكن قوله ان بعضها ظهر فى كتب الدراسات القرآنية الاولى ككتاب « معانى القرآن » للفراء و « مجاز القرآن » لابي عبيدة ، ولكنها لم تكن واضحة المعالم ؛ لان البلاغة ما تزال فى دور نشأتها ، ولان الدلالة اللغوية كانت تطغى على معناها الاصطلاحى الذى تعارف عليه البلاغيون .

وجاء الجاحظ وذكر أنواعا كثيرة منها كالفصاحة والبيان والبديع والاستعارة والتشبيه والمثل والكناية والسجع والقران والاطناب ، وتعرض ابن قتيبة للبلاغة فى كتابه « تأويل مشكل القرآن » وذكر بعض مصطلحاتها كالمجاز والاستعارة والكناية والحذف والمقلوب ، وذكر المبرد فى « الكامل»

وثعلب فى « قواعد الشعر » كثيرا منها ، وتبعهما ابن المعتز فى « البديع » ، وقدامة بن جعفر فى « نقد الشعر » وأبو هلال العسكرى فى « كتاب الصناعتين » ، وأضافوا فنونا لم يعرفها المتقدمون • وتوالت البحوث البلاغية حتى وصلت الى السكاكى الذى قسم البلاغة الى علومها وصاغ مصطلحاتها وحدّد تعريفاتها ووضعها الوضع الاخير •

وقد نشأت مصطلحات البلاغة نشأة عربية وأخذت دلالتها من الادب العربى الذى زخر بالوان كثيرة من فنون التعبير ومرت بمراحل طويلة الى ان وجدت سبيلها التى سلكتها وحدودها التى عرفتها • ولو رجع الباحث الى أى مصطلح منها وتابعه منذ أول نشأته لوجد اختلافا فى معناه • ويبدو ذلك جليا فى موضوعات علم البديع التى تسابق البلاغيون فى تفريعها وأوصلوها الى أكثر من مائة وخمسين وكانت لاصحاب البديعيات يدطولى فى التفريع وتسمية الفنون •

ومما زاد الامر بلبلة ان بعضهم كان يضع للنوع الواحد اسمين اعتقادا منه ان ذلك النوع فنان مختلفان ، كالغانمى الذى سمى بابا من ابواب البلاغة « التبليغ » ، وسمى بابا آخر « الاشباع » • وليس بين الامرين فرق كبير وهما فن واحد سماه أبو هلال « الايغال » ، وسار على تسميته ابن الاثير • أو يطلقون أسماء مختلفة على فن واحد كتسميتهم التجنيس جناسا ومجانسة وتماثلا ، والتورية ايهاما وتوجيها وتخييرا ، والتشبيه المقلوب غلبة الفروع على الاصول أو الطرد والعكس ، والمنصف استدراجا ، والتوجيه محتمل الضدين ، والارصاد تسهيما وتوشيحا ، ولزوم ما لايلزم الزاما واعناتا وتشديدا وتضييقا ، والتشريع توشيحا وذا القافيتين ، والتكميل احتراسا ، ورد العجز على الصدر تصديرا ورد الأعجاز على الصدور ، والمطابقة طباقا وتضادا وتكافؤا وتطبيقا ، وتجاهل العارف سوق المعلوم مساق غيره ، ومراعاة النظير تناسبا وتوفيقا ، والمذهب الكلامى الاحتجاج النظرى •

وهذه الامثلة تدل دلالة واضحة على ان فنون البلاغة ومصطلحاتها اختلفت وتطورت على مدى الاجيال حتى استقرت فى كتاب « مفتاح العلوم » للسكاكى و « التلخيص » و « الايضاح » للخطيب القزوينى ، وأخذت حينئذ دلالتها العلمية ومعناها الدقيق .

ولم تدرس المصطلحات البلاغية دراسة وافية تظهر تطورها التأريخى ، وكان كتابانا « البلاغة عند السكاكى » و « القزويني وشروح التلخيص » قد أوضحا بعض جوانبها والمّا بتطورها ، وظلت كثير منها تنتظر كتابا جديدا يجمع شتاتها ويسلك متفرقها ، فكان كتابنا الجديد « مصطلحات بلاغية » الذى حاولنا فيه ان نطبق المنهج التأريخى على مصطلحات الفصاحة والبلاغة والمعانى والبيان والبديع ، لانها المصطلحات الكبرى التى تحتاج الى دراسة قبل غيرها ، ولان الحديث عن المصطلحات البلاغية كلها لا يتسع له هذا الكتاب .

ومما دفعنا الى ذلك اننا نسمع فى كل حين دعوة الى وضع المعجم التأريخي ، وهو أمر لا يقدر عليه أحد لان تأريخ الالفاظ العربية ممتد فى الزمن ، ولان الكثير من النصوص ضاع فى غمرة الاحداث التى مرت بالامة . ورأينا ان البلاغة أسهل موردا واقرب منالا فأردنا ان نطبق هذه الفكرة عليها ونستعرض المصطلحات ليكون تأريخ تطورها أمام الدارسين . وهذا هو الهدف الذى سعينا اليه ، ولم نرد أن ننقد التعريفات ونفند رأى هذا أو ذاك لانه يخرجنا عن هدفنا ، ولانه يفتح سبيل القول ويدعو الى الخوض فى اغراض شتى .

ويقوم منهج كتاب « مصطلحات بلاغية » على رصد كل مصطلح فى مظانه واستقاء الرأى فيه من منابعه ، والربط بين الآراء ربطا يظهر تطورها التأريخى ، ويحدد معنى المصطلح الذى استقر وتعارف عليه البلاغيون المتأخرون .

اما موضوعات كل مصطلح وأمثلته فلم نقف عندها لان ذلك ليس مما سعينا اليه وانما مجالها الدراسات الفنية التى تعنى بالقواعد والاصـــول ، والتفسير والتعليل ، واصدار الاحكام النقدية والبلاغية •

ولعل هذه المحاولة التي نقدمها اليوم تكون سبيلا تفضي الى دراســة مصطلحات البلاغة كلها وايضـاح تطورها التـأريخى ، ومن الله العـــون والتوفيق •

الدكتور احمد مطلوب
كلية الآداب ــ بغداد

السبت: أول محرم الحرام ١٣٩١ هـ
٢٧ شباط ١٩٧١ م

الفصاحة

لفظة الفصاحة مما شاع وعرفه العرب بمفهومه اللغوى قبل أن تأخذ الالفاظ دلالتها الفنية ، ونجد لها فى المعاجم دلالتين :

الاولى : لغوية تقوم على المعنى الاول الذى وضعه العرب واستعملوه قبل أن تظهر علوم البلاغة والنقد . ففى اللسان « يوم مفصح : لا غيم فيه ولا قُرّ . أفصح اللبن : ذهب اللبأ عنه . فَصُح اللبن : اذا أخذت عنه الرغوة . قال نضلة السلمى :

رأوه فازدروه وهوخِرقٌ ... وينفع أهلَه الرجلُ القبيحُ

فلم يخشَوا مصالته عليهم ... وتحت الرغوة اللبنُ الفصيحُ

أفصحت الشاة والناقة : خلص لبنها . أفصح الصبح : بدأ ضوؤه واستبان ، وكل ما وضح فقد افصح ، وكل واضح مُفْصِح . ويقال : « قد فصحك الصبح » أي : بان لك وغلبك ضوؤه . فصحه الصبح : هجم عليه » .

ولا تخرج معاجم اللغة عن هذا المعنى الذى تكاد أجزاؤه ترتبط ارتباطا وثيقا وتؤدى فكرة واحدة .

الثانية : دلالة تقرب من المعنى الاصطلاحى الذى تعارف عليه البلاغيون، ففى اللسان : « الفصاحة : البيان . فَصُح الرجل فصاحة فهو فصيح من قوم فُصحاء وفِصاح وفُصُح ، وامرأة فصيحة من نسوة فِصاح وفصائح . رجل فصيح وكلام فصيح : أى بليغ . لسان فصيح : أى طلق . وقد جاء فى الشعر فى وصف العُجْم : أفصح ، يريد به بيان القول وان كان بغير العربية كقول أبى النجم :

أعجمَ فى آذانها فصيحا

يعني : صوت الحمار انه أعجم ، وهو في آذان الأُتُن فصيح بيّن .
وفَصُح الاعجمي فصاحة : تكلم بالعربية وفهم عنه ، وقيل : جادت لغته حتى لا يلحن . أفصح كلامه إفصاحاً وأفصح تكلم بالفصاحة وكذلك الصبي ، يقال : أفصح الصبي في منطقه افصاحا اذا فهمت مايقول في أول مايتكلم . افصح الاغتم : اذا فهمت كلامه بعد غتمته . أفصح عن الشيء افصاحا اذا بيّنه وكشفه . فصح الرجل وتفصح اذا كان عربي اللسان فازداد فصاحة، وقيل : تفصح في كلامه وتفاصح : تكلف الفصاحة . يقال : ما كان فصيحا ولقد فصُح فصاحة وهو البيّن في اللسان والبلاغة . التفصح : استعمال الفصاحة ، وقيل : التشبه بالفصحاء . وقيل : جميع الحيوان ضربان : أعجم وفصيح ، فالفصيح كل ناطق ، والاعجم كل ما لا ينطق . الفصيح في اللغة المنطلق اللسان في القول الذى يعرف جيد الكلام من رديئه . أفصح الكلام وافصح به وافصح عن الامر . الفصيح في كلام العامة : المُعْرِب » .

وفي هذا يتضح معنى البيان والظهور في كلمة « الفصاحة » وليس هذا المعنى بالبعيد عن الدلالة الاولى ولا عن المعنى الذى أصطلح عليه علماء البلاغة ، وهو رقة الالفاظ وجمالها ، أو بيان التعبير ووضوحه .

ولو مضينا نبحث عن لفظة « الفصاحة » في تراثنا لرأيناها في قوله تعالى حكاية عن نبيه موسى ــ عليه السلام ــ : « وأخي هرون هو أفصح مني لساناً »[1] وفي الحديث النبوى الشريف : « أنا أفصح العرب بيد اني من قريش[2] » ، و « غُفر له بعدد كل فصيح وأعجم » . وفسره اصحاب الحديث ان النبي محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ أراد بالفصيح بني آدم ، وبالاعجم البهائم[3] .

ولفظة « الفصاحة » في القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف لا

---

(١) سورة القصص ، الآية ٣٤ .

(٢) قال عبدالله بن رواحة في مدح الرسول (ص) :

لو لم تكن فيه آيات مبينة   كانت فصاحته تنبيك بالخبر

(٣) النهاية في غريب الحديث والاثر ج ٣ ص ٤٥٠ .

تخرج عن معناها اللغوي وهو الظهور والبيان • وحينما دخلت هذه اللفظة الدراسات البلاغية والنقدية ارتبطت بلفظة البلاغة وصارت صنوها ، وأصبح رجال البلاغة الاوائل لا يفرقون بينهما ، بل لم يروا بأسا من أن يستعملوا احداهما مكان الاخرى كما فعل ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ــ٢٥٥ هـ) الذى لم يضع حدا واضحا بين اللفظتين وانما أجراهما بمعنى واحد فى مواضع كثيرة من كتابه « البيان والتبيين » • وقد عرف البلاغة بقوله : « وقال بعضهم :ــ وهو أحسن ما اجتبيناه ودوناه ــ لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه الى سمعك أسبق من معناه الى قلبك »[1] ، وفى هذا التعريف التقاء الفصاحة بالبلاغة والنص على امتزاجهما •

والفصاحة ــ عند الجاحظ ــ واسعة المعنى ، ومن هنا نراه يتحدث عنها وعن الالفاظ كثيرا ، وتعتبر اشاراته فى كتابه « البيان والتبيين » من أوسع ما وصل الينا من عهد التدوين الاول • ويرى أن العناية بالالفاظ جديرة بالرعاية والاهتمام ، يقول: « وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ، ألا ترى ان الله تبارك وتعالى لم يذكر فى القرآن الجوع الا فى موضع العقاب أو فى موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر • والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع فى حال القدرة والسلامة ، وكذلك ذكر المطر ؛ لانك لا تجد القرآن يلفظ به الا فى موضع الانتقام • والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث ، ولفظ القرآن الذى عليه نزل انه اذا ذكر الابصار لم يقل الاسماع ، واذا ذكر سبع سماوات لم يقل الارضين • ألا تراه لا يجمع الارض أرضين ولا السمع أسماعا • والجارى على أفواه العامة غير ذلك لا يتفقدون من الالفاظ ماهو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال »[2] •

---

(١) البيان والتبيين ج١ ص ١١٥ •
(٢) البيان ج١ ص ٢٠ •

وتكلم على تنافر الحروف فقال : « فأما في اقتران الحروف فانالجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا بتأخير ، والزاى لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا بتأخير . وهـذا باب كبير ، وقد يكتفى بذكر القليل حتى يستدل به على الغاية التى اليهـا يجرى »[1] .

وتحدث عن تنافر الالفاظ فقال : « ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر وان كانت مجموعـة فى بيـت شعر لم يستطع المنشـد انشادهـا الا ببعض الاستكراه ، فمن ذلك قول الشاعر :

وقبر حرب بمـــكانٍ قفر   وليس قرب قبر حرب قَبْرُ

ولما رأى من لا علم له أن أحدا لا يستطيع أن ينشد هذا البيت ثلاث مرات فى نسق واحد فلا يتتعتع ولا يتلجلج ، وقيل لهم : ان ذلك انما اعتراه اذ كان من أشعار الجن ، صدقوا بذلك .

ومن ذلك قول ابن يسير :

لم يضرها والحمدلله شيء   وانثنت نحو عزف نفس ذهول

فتفقد النصف الاخير من هذا البيت فانك ستجـدّ بعض ألفاظه يتبـرأ من بعض »[2] .

وينبغى أن تكون الالفاظ متماثلة متلائمة كى لا يقع بينها التنافـر فتصبح كأولاد عَـلَّةٍ ، يقول : « وأنشدنى ابو العاصى قال : أنشدنى خلف الاحمر فى هذا المعنى :

وبعض قريض القوم أولاد عَـلَّـةٍ   يكدُّ لسان الناطق المتحفظ[3]

وقال ابو العاصى : وأنشدنى فى ذلك أبو البيداء الرياحى :

وشـعرٍ كبعر الكبش فرّق بينه   لسان دعيٍّ فى القريض دخيل

(١) البيان ج١ ص ٦٩ .
(٢) البيان ج١ ص ٦٥-٦٦ .
(٣) أولاد علة : هم بنو رجل واحد من امهات شتى .

فانه يقول : اذا كان الشعر مستكرها وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض كان بينها من التنافر ما بين أولاد العَلاّت . واذا كانت الكلمة ليس موقعها الى جنب أختها مرضيا موافقا كان على اللسان عند انشاد ذلك الشعر مؤونة .

قال : وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الاجزاء سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه قد افرغ افراغا واحدا وسُبك سبكا واحدا فهو يجرى على اللسان كما يجرى الدهان .

وأما قوله : « كبعر الكبش » فانما ذهب الى أن بعر الكبش يقع متفرقا غير مؤتلف ولا متجاور ، وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة مُلْسا ولينة المعاطف سهلة ، وتراها مختلفة متباينة ومتنافرة مستكرهة تشق على اللسان وتكده ، والاخرى تراها سهلة لينة ورطبة مواتية ، سلسة النظام خفيفة على اللسان حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأنّ الكلمة بأسرها حرف واحد »[1] .

ويرى أن اللفظ كما لا ينبغى أن يكون عاميا وساقطا سوقيا ، فكذلك لا ينبغى أن يكون غريبا وحشيا الا ان يكون المتكلم بدويا أعرابيا ، فان الوحشى من الكلام يفهمه الوحشى من الناس كما يفهم السوقى رطانة السوقي[2] .

ان الجاحظ يهتم اهتماما عظيما بالالفاظ ويوليها عناية كبيرة ، وقد دفعه هذا الاهتمام الى أن يقول : « والمعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العجمى والعربى والبدوى والقروى والمدنى ، وانما الشأن فى اقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء ، وفى صحة الطبع وجودة السبك ، فانما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير»[3] .

---

(١) البيان ج١ ص ٦٦–٦٧ .
(٢) ينظر البيان ج١ ص ١٤٤ .
(٣) الحيوان ج٣ ص ١٣١–١٣٢ .

وظن بعض الباحثين أنه يميل الى اللفظ كلّ الميل وانه لا يرى للمعنى كبير أهمية . والواقع انه عنى باللفظ وأعطاه نصيبه من الاهتمام ، وشُغل بالمعنى والتصوير الادبي الذي يقول عنه : « فانما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير » .

ولعل دفاعه عن اللفظ في كثير من الاحيان يرجع الى ما كان بين العنصرين : العربي والاعجمي من صراع ، فقد تشيع الاعاجم للمعنى واتجه العرب الى اللفظ يعظمونه ويضفون عليه هالات[1] . وعرف الجاحظ بكرهه للشعوبية الحاقدة ودفاعه عن العرب فجنح هذا الجنوح في تعظيم اللفظ وتقديره مع انه يروي أن بعضهم لا يحفل الا بالمعنى كأبي عمرو الشيباني الذي يرى أنّ المعنى متى كان رائعا حسنا ظلّ كذلك في أية عبارة وضع ، فالبيتان :

لاتحسبنّ الموتَ موتَ البلى ... فانما الموت سؤال الرجال

كلاهما موت ولكنّ ذا ... أفظع من ذاك لذل السؤال

استحسنهما أبو عمرو على حين ليست عليهما مسحة من جمال سوى الوزن . وعابه الجاحظ ورأى انه مسرف في تقديرهما ، يقول : « وأنا رأيت أبا عمرو الشيباني وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين ونحن في المسجد يوم الجمعة أن كلّف رجلا حتى أحضره دواة وقرطاسا حتى كتبهما له . وأنا أزعم ان صاحب هذين البيتين لا يقول شعرا أبدا ، ولولا أن أدخل في الحكم بعض الفتك لزعمت ان ابنه لا يقول شعرا أبدا »[2] .

لقد اهتم الجاحظ باللفظ ولكنه لم يهمل المعنى ومن هنا لا نقبل ما يذهب اليه بعضهم وهو ان الجاحظ كرس جهوده لخدمة الالفاظ ولاجله خاض عبد القاهر الجرجاني غمار هذا البحث . ويرى الدكتور محمد مندور أن كل آراء عبد القاهر تنحصر في مسألتين :

الاولى : انكاره لما رآه الجاحظ من أهمية فصاحة الالفاظ باعتبار

(١) ينظر كتاب في النقد الادبي للدكتور شوقي ضيف ص ١٦١ ، وكتاب أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية للدكتور طبانة ص ١٣٢ .

(٢) الحيوان ج٣ ص ١٣١ .

تلك الفصاحة صفة فى اللفظ ذاته ، ثم ثورته على مذهب العسكرى الذى يردّ جودة الكلام الى محسنات لفظية تقف عند الشكل .

الثانية : تعليقه جودة الكلام بخصائص في النظم[1] .

وعبارة الجاحظ : « فانما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير » ، وما نقله عبد القاهر من اهتمامه بالصياغة والصناعة ، خير ما يفند رأى الدكتور مندور .

وتحدث ابن قتيبة (ـ٢٧٦هـ) عن الالفاظ ، وذكر أن الشعر أربعة أضرب : ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه ، كقول القائل فى بعض بني أمية :

فى كفه خيزران ريحه عبق
من كف أروعَ فى عرنينه شممُ
يغضي حياءً ويُغضى من مهابته
فما يكلّم الاّ حين يبتسمُ

وكقول أوس بن حجر :

أيتها النفس أجملي جزعا   انّ الذى تحذرين قد وقعا

وضرب منه حَسُنَ لفظه وحلا فاذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة فى المعنى كقول القائل :

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسّح بالاركان مَنْ هو ماسح
وشدّ على حدْب المهارى رحالنا
ولا ينظر الغادي الذى هو رائح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطيّ الاباطح

يقول ابن قتيبة : « هذه الالفاظ كما ترى أحسن شيء مخارج ومطالع ومقاطع ، وان نظرت الى ما تحتها من المعنى وجدته : ولما قطعنا أيام منى

(١) ينظر فى الميزان الجديد ص ١٤٩ .

واستلمنا الاركان وعالينا ابلنا الانضاء ومضى الناس لا ينتظر الغادى الرائح ، ابتدأنا فى الحديث وسارت المطي فى الاباطح[1] » وهـذا الصنف كثـير ، ونحوه قول المَعْلُوط :

انّ الـذين غــدوا بلبك غــادروا
وشلاً بعينك لا يــزال معينـا
غَيّضــن من عبـراتهن وقلـن لى :
ماذا لقيت من الهوى ولقينا[2]

وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه كقول لبيد بن ربيعة :

ما عـاتبَ المـرءَ الكريـمَ كنفســه
والمرء يُصْلحـه الجليس الصــالحُ

وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه كقول الاعشى فى امرأة :

وفوهاً كأقاحيّ غــذاه دائـمُ الهطـل
كما شيبَ براحٍ باردٍ من عَسَل النحل[3]

ولم يشر ابن قتيبة الى لفظة « الفصاحة » فى كتابه « الشعر والشعراء » ولكنه استعمل كلمة « الالفاظ » ، ويرى أن المحدَث ليس له أن يتبع المتقدم فى استعمال وحشى الكلام ككثير من أبنية سيبويه ، ولا أن يسلك فيمـا يقول الاساليب التى لا تصح فى الوزن ولا تحــلو فى الاسماع . يقول : « وهذا يكثر ، وفيما ذكرت منه ما دلك على ما أردت من اختيارك أحسن الرَّوِيّ ، وأسهل الالفاظ ، وأبعدها من التعقيد والاستكراه ، وأقربها من افهام العوام . وكذلك اختـار للخطيب اذا خطب والـكاتب اذا كتب ، فانه يقال : « أسْيَرُ الشعر والكلام المطمع » يراد الذى يطمع فى مثله مَنْ سمعه وهو مكان النجم من يد المتناول »[4] .

(١) الشعر والشعراء ج١ ص ٦٦-٦٧ ، وينظر رأى عبدالقاهر فى هــذه الابيات (دلائل الاعجاز ص ٥٨ وما بعدها) .
(٢) البيتان فى ديوان جرير ص ٥٧٨ ، وهما من قصيدة فى هجاء الاخطل .
(٣) ينظر الشعر والشعراء ج١ ص ٦٤ وما بعدها .
(٤) الشعر والشعراء ج١ ص ١٠٣ .

وفى كتابه « أدب الكاتب » حديث عن الالفاظ والابنية ولكنه لايسميها « فصاحة » وانما هي قواعد يستعين بها الكتاب • وعقد فى كتابه « عيون الاخبار » بابا سماه « كتاب العلم والبيان » تحدث فيه عن الاعراب واللحن والتشادق والغريب والبيان والالفاظ التى تقع فى كتب الامان والعهود والخطب ، وهو فى هذه الابواب والفصول ليس كالجاحظ الذى أرسى كثيرا من قواعد الفصاحة وأمثلتها •

وليس فيما كتب المبرد (ـ٢٨٥هـ) اشارة الى الفصاحة وان كان يفضل أن تكون الالفاظ جزلة[1] ، ولا فيما كتب أبو العباس ثعلب (ـ ٢٩١ هـ) الذى أشار الى جزالة الالفاظ[2] ، ولا فيما ألف ابن المعتز (ـ٢٩٦هـ) صاحب كتاب البديع •

وتحدث قدامة بن جعفر (ـ٣٣٧هـ) عن نعت اللفظ ، وذلك بأن يكون سمحا ، سهل مخارج الحروف من مواضعها ، عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة[3] • وذكر عيوب اللفظ وهي : أن يكون ملحونا وجاريا على غير سبيل الاعراب واللغة ، وأن يركب الشاعر منه ما ليس بمستعمل الا فى الفرط ، ولا يتكلم به الا شاذا وذلك هو الوحشى الذى مدح عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ زهيرا بمجانبته له وتنكبه اياه ، فقال : « لا يتبع حوشى الكلام » •

ومن عيوب اللفظ المعاظلة ، وهى التى وصف عمر بن الخطاب زهيرا بمجانبته لها أيضا فقال : « كان لا يعاظل بين الكلام » • ويرى قدامة أن المعاظلة ليست مداخلة الشيء فى الشيء ، لانه محال أن ينكر مداخلة بعض الكلام فيما يشبهه من بعض أو فيما كان من جنسه ، وانما يكون الانكار فيما يدخل بعضه فيما ليس من جنسه وما هو غير لائق به[4] •

---

(١) ينظر الكامل ج١ ص ٤٣ •
(٢) ينظر قواعد الشعر ص ٥٩ •
(٣) ينظر نقد الشعر ص ٢٦ •
(٤) ينظر نقد الشعر ص ١٩٦ وما بعدها •

وفى كتاب « البرهان فى وجوه البيان » لابي الحسين اسحاق بن ابراهيم ابن سليمان بن وهب الكاتب[1] اشارات عابرة عن جزالة اللفظ وسخافته وركاكته[2] • وليس فى ذلك ما يوضح رأى صاحب « البرهان » فى الفصاحة كما عرفها الجاحظ ومعاصروه •

وذكر أبو هلال العسكرى (ـ٣٩٥هـ) رأيين فى الفصاحة : الاول : أن الفصاحة والبلاغة ترجعان الى معنى واحد وان اختلف أصلاهما ؛ لان كل واحد منهما هو الابانة عن المعنى والاظهار له • الثانى : انهما مختلفتان، وذلك ان الفصاحة تمام آلة البيان فهى مقصورة على اللفظ ؛ لان الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى • والبلاغة انما هي انهاء المعنى الى القلب فكأنها مقصورة على المعنى يقول : « وقال بعض علمائنا : الفصاحة تمام آلة البيان، فلهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى فصيحا اذ كانت الفصاحة تتضمن الآلة ولا يجوز على الله تعالى الوصف بالآلة ويوصف كلامه بالفصاحة لما يتضمن من تمام البيان • والدليل على ذلك أن الالثغ والتمتام لا يسميان فصيحين لنقصان آلتهما عن اقامة الحروف • وقيل زياد الاعجم لنقصان آلة نطقه عن اقامة الحروف ، وكان يعبر عن الحمار بالهمار، فهو أعجم وشعره فصيح لتمام بيانه »[3] •

ويوضح الامر بقوله : « ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ، والبلاغة تتناول المعنى ، أن الببغاء يسمى فصيحا ولا يسمى بليغا اذ هو مقيم الحروف وليس له قصد الى المعنى الذى يؤديه • وقد يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحا بليغا اذا كان واضح المعنى سهل اللفظ ، جيد السبك ، غير مستكره فج ولا متكلف وخم ، ولا يمنعه من أحد الاسمين

---

(١) هو النسخة الكاملة من الكتاب المطبوع باسم « نقد النثر » والمنسوب الى قدامة بن جعفر •

(٢) ينظر البرهان ص ١٧٧ ، ٢٥٢ •

(٣) كتاب الصناعتين ص ٧ـ٨ •

شيء لما فيه من ايضاح المعنى وتقويم الحروف »[1] . وهذا هو رأيه ، أما الرأى الاول فقد عرضه لان بعضهم يذهب الى ذلك .

وعقد فصلا فى تمييز الكلام تحدث فيه عن صفات الالفاظ الحسنة ، وانتهى الى أن الكلام اذا جمع العذوبة والجزالة والسهولة والرصانة مع السلاسة والنصاعة ، واشتمل على الرونق والطلاوة ، وسلم من الحيف فى التأليف ، وبَعُدَ عن سماجة التركيب ، وورد على الفهم الثاقب ـ قبله ولم يرده ، وعلى السمع المصيب استوعبه ولم يمجه، والنفس تقبل اللطيف وتنبو عن الغليظ [2] .

وأعطى الالفاظ أهمية كبيرة ؛ لانه ليس الشأن فى ايراد المعانى ، لان المعانى يعرفها العربى والعجمى والقروى والبدوى ، وانما هو فى جودة اللفظ وصفائه ، وحسنه وبهائه ، ونزاهته ونقائه ، وكثرة طلاوته ومائه ، مع صحة السبك والتركيب . وليس يطلب من المعنى الا أن يكون على هذه الاوصاف ، وهو ما أشار اليه الجاحظ من قبل .

وعقد ابن سنان الخفاجي (ـ٤٦٦ هـ) في كتابه « سر الفصاحة » فصولا ضافية تحدث فيها عن صفات الحروف ومخارجها ، وفصاحة اللفظة المفردة والالفاظ المؤلفة .

والفصاحة عنده : « الظهور والبيان »[3] ، والفرق بينها وبين البلاغة « أن الفصاحة مقصورة على وصف الالفاظ ، والبلاغة لا تكون الا وصفا للالفاظ مع المعانى . لا يقال فى كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة وان قيل فيها فصيحة . وكل كلام بليغ فصيح ، وليس كل فصيح بليغا »[4] .

ولكى تكون اللفظة الواحدة فصيحة ينبغى أن تتوفر فيها ثمانية أشياء :

---

(١) كتاب الصناعتين ص ٨ .
(٢) كتاب الصناعتين ص ٥٧ .
(٣) سر الفصاحة ص ٥٩ .
(٤) سر الفصاحة ص ٦٠ .

الاول : أن يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج • ومثال التأليف من الحروف المتباعدة كثير ، جل كلام العرب عليه ، فأماتأليف الحروف المتقاربة فمثل « الهعخع » •

الثاني : أن يكون لتأليف اللفظة فى السمع حسن ومزية على غيرها وان تساويا فى التأليف من الحروف المتباعدة كما نجد لبعض النغم والالوان حسنا يتصور فى النفس ويدرك بالبصر والسمع دون غيره مما هو من جنسه • ومثاله فى الحروف « ع • ذ • ب » فان السامع يجد لقولهم « العُذيب » اسم موضع و « عذيبة » اسم امرأة ، و « عَذْب » و « عذاب » و «عَذَب» و « عَذبات » ما لا يجده فيما يقارب هذه الالفاظفى التأليف • وليس سبب ذلك بعد الحروف فى المخارج فقط ولكنه تأليف مخصوص مع البعد ، ولو قدمت الذال أو الباء لم تجد الحسن على الصفة الاولى فى تقديم العين على الذال لضرب من التأليف فى النغم يفسده التقديم والتأخير •

الثالث : أن تكون الكلمة غير متوعرة وحشية كقول أبى تمام :

لقد طلعت فى وجه مصر بوجهه بلا طائر سعد ولا طائر كهل

فان « كهلا » ههنا من غريب اللغة ، وقد روى أن الاصمعى لم يعرف هذه الكلمة وليست موجودة الا فى شعر بعض الهذليين وهو قوله :

فلو أن سلمى جاره أو أجاره رياحُ بن سعدٍ ردّه طائر كهلْ

وقد قيل : ان الكهل الضخم ، و « كهل » لفظة ليست بقبيحة التأليف لكنها وحشية غريبة لا يعرفها مثل الاصمعى •

الرابع : أن تكون الكلمة غير ساقطة عامية ، ومثال الكلمة العامية قول أبى تمام :

جليت والموت مُبْدٍ حرَّ صفحته وقد تفرعَنَ فى أفعاله الاجل

الخامس : ان تكون الكلمة جارية على العرف العربى الصحيح غير شاذة • ويدخل فى هذا القسم كل ما ينكره أهل اللغة ، ويرده علماء النحو من التصرف الفاسد فى الكلمة •

السادس : أن لا تكون الكلمة قد عبر بها عن أمر آخر يكره ذكره ، فاذا وردت وهي غير مقصود بها ذلك المعنى قبحت وان كملت فيها الصفات ، كقول الشريف الرضى :

اعززْ عليّ بان أراك وقد خلت   من جانبيك مقاعـــد العوّادِ

فايراد « مقاعد » فى هذا البيت صحيح ، الا انه غير موافق لما يكره ذكره فى مثلهذا الشان ، لاسيما وقد اضافه الىمن يحتمل اضافته اليهم وهم « العواد » ولو انفرد كان الامر فيه سهلا فأما اضافته الى ما ذكره ففيها قبح لا خفاء به .

السابع : أن تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف ، فانها متى زادت على الامثلة المعتادة المعروفة قبحت وخرجت عن وجه من وجوه الفصاحة ، ومن هذا النوع قول أبي تمام :

فلأذربيجـــانَ   اختيـــالٌ بعـــــدما
كانت معرَّس عبـرةٍ ونكـــالِ
ســمجت ونبّهنا على استسماجهـــا
ما حولها من نضـــرة وجمالِ

فقوله : « فلأذربيجان » كلمة رديئة لطولها وكثرة حروفها ، وهى غير عربية ، ولكن هذا وجـه قبحها . وكـذلك قوله فى البيت الثـانى : « استسماجها » رديء لكثرة الحروف وخروج الكلمة بذلك عن المعتـــاد فى الالفاظ الى الشاذ النادر .

الثامن : أن تكون الكلمة مصغرة فى موضع عبر بها فيه عن شيء لطيف أو خفي أو قليل أو ما يجرى مجرى ذلك ، فانها تحسن به ، كقول ابن أبي ربيعة :

وغاب قُميرٌ كنت أرجو طلوعه   وروّح رعيان ونوّم سمّرُ

وهذا تصغير مختار فى موضعه ، فأما الاســماء التي لم ينطق بها الاّ مصغرة كاللجين والثريا وما أشبههما فليس للتصغير فيهما حسن يذكر ، لانه غير مقصود به ما ذهب اليه ابن سنان .

ومعظم هذه الشروط تدخل فى فصاحة الالفاظ المؤلفة والاخـــلال

بها قد يؤدى الى زيادة القبح والتنافر فى الكلام ، لانه حين تكون الالفاظ مجتمعه تحتاج الى دقة فى التركيب واختيار اللطيف منها . يقول ابن سنان متحدثا عن الشرط الاول : « ان الاول منها أن يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج وهذا بعينه فى التأليف ، وبيانه أن يجتنب الناظم تكرر الحروف المتقاربة فى تأليف الكلام ، كما أمرناه بتجنب ذلك فى اللفظة الواحدة ، بل هذا فى التأليف أقبح وذلك أن اللفظة المفردة لا يستمر فيها من تكرار الحرف الواحد أو تقارب الحرف مثلما يستمر فى الكلام المؤلف اذا طال واتسع » .[1]

وكانت الفصاحة والبلاغة والبراعة والبيان ألفاظا مترادفة عند عبد القاهر الجرجانى (-٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) لانها يعبر بها عن « فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الاغراض والمقاصد ، وراموا أن يعلموهم ما فى نفوسهم ، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم »[2] .

والالفاظ عنده خدم للمعانى وأوعية لها تتبعها فى حسنها وجمالها ، أو قبحها ورداءتها ، يقول : « ولن تجد أيمن طائرا وأحسن أولا وآخرا ، وأهدى الى الاحسان وأجلب للاستحسان ، من أن ترسل المعاني على سجيتها وتدعها تطلب لانفسها الالفاظ ، فانها اذا تركت وما تريد لم تكتس الا ما يليق بها ، ولم تلبس من المعارض الا مايزينها . فأما أن تضع فى نفسك انه لا بد من أن تجنس أو تسجع بلفظين مخصوصين فهو الذى أنت بعرض الاستكراه وعلى خطر من الخطأ والوقوع فى الذم . فان ساعدك الجد كما ساعد فى قوله :

أو دعاني أمت بما أودعاني

وكما ساعد أبا تمام فى نحو قوله :

هنّ الحمام ، فان كسرت عيافه ... من حائهن فانهنّ حِمامُ

---

(١) سر الفصاحة ص ١٠٧ .

(٢) دلائل الاعجاز ص ٣٥ .

فذاك ، والا أطلقت ألسنة العيب »[1] .

ان الفصاحة تكون في المعنى ، وليس للكلمة المفردة كبير قيمة ، وكثيرا ما تستعمل اللفظة في موضع فتكون حلوة الجرس عذبة ، وتستعمل في موضع آخر فتفقد تلك المزية ، وانما كان ذلك « لان المزية التى من أجلها نصف اللفظ في شأننا هذا بانه فصيح ، مزية تحدث بعد أن لا تكون وتظهر في العلم من بعد أن يدخلها النظم . وهذا شيء ان أنت طلبته فيها وقد جئت بها أفرادا لم تَرُمْ فيها نظما ولم تحدث لها تأليفا طلبت محالا . واذا كان كذلك وجب أن تعلم قطعا أن تلك المزية في المعنى دون اللفظ »[2] .

فالالفاظ عند عبدالقاهر لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة ، وانما تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ .

ومما يشهد لذلك انك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر كلفظ « الاخدع » في بيت الحماسة :

تلفتُّ نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الاصغاء ليتاً وأخدعا[3]

وبيت البحترى :

واني وان بلّغتني شرف الغنى واعتقت من رقّ المطامع اخدعى

فان لها في هذين البيتين ما لا يخفى من الحسن ، ثم انك تتأملها في بيت أبى تمام :

يا دهر قوم من أخدعيك فقد أضججت هذا الانام من خُرقك

فتجد لها من الثقل على النفس من التنغيص والتكدير أضعاف ماوجدت هناك من الروح والخفة والايناس والبهجة .

---

(١) أسرار البلاغة ص ١٩ـ٢٠ ، وينظر دلائل الاعجاز ص ٤٠١ وما بعدها .

(٢) دلائل الاعجاز ص ٣٠٧ـ٣٠٨ .

(٣) الاخدعان : عرقان في جانبي العنق قد خفيا وبطنا ، والليت : صفحة العنق ، وقيل : أدنى صفحتي العنق من الراس .

ومن أعجب ذلك لفظة « الشيء » فانك تراها مقبولة حسنة فى موضع وضعيفة مستكرهة فى موضع آخر ، وان أردت أن تعرف ذلك فانظر الى قول عمر بن أبى ربيعة :

ومن مالىءٍ عينيه من شىء غيره   اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

والى قول أبى حية النميرى :

اذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلة   تقاضاه شى لا يملُّ التقاضيا

فانك تعرف حسنها ومكانها من القبول ، ثم انظر فى بيت المتنبى :

لو الفلك الدوّار أبغضت سعيه   لعوّقـــه شىء عن الدوران

فانك تراها تقل وتضؤل بحسب نبلها وحسنها فيما تقدم .

ومن سر هذا الباب انك ترى اللفظة المستعارة قـد استعيرت فى عدة مواضع ثم ترى لها فى بعض ذلك ملاحة لا تجدها فى الباقى . مثال ذلك أنك تنظر الى لفظة « الجسر » فى قول أبى تمام :

لايطمع المرءُ أن يجتاب لجّتــــه   بالقول مالم يكن جسراً له العملُ

وقوله :

بَصُرْتَ بالراحة العظمى فلم ترها   تُنال الاّ على جسـر من التعب

فترى لها فى الثانى حسنا لا تراه فى الاول ، ثم تنظر اليها فى قول ربيعـة الرقى :

قـولى : نعم ، ونعم انْ قلتِ واجبةٌ
قالت : عسى وعسى جِسْرٌ الى نَعَم

فترى لها لطفا وخلابة وحسنا ليس الفضل فيه بقليل .

وينتهى عبدالقاهر الى أن الكلمة لو كانت اذا حسنت من حيث هى لفظ واذا استحقت المزية والشرف ، استحقت ذلك فى ذاتها وعلى انفرادها دون أن يكون السبب فى ذلك حال لها مع اخواتها المجاورة لها فى النظم لما اختلف بها الحال ولكانت اما ان تحسن أبدا أو لا تحسن أبدا .[1]

(١) دلائل الاعجاز ص ٣٨ وما بعدها وتنظر ص ٦٢ .

ولعل الغرض الديني كان دافعا الى هذا الرأى ، لان كلمات القرآن عربية نطق بها الشعراء والخطباء وتداولها الناس ولا تكون لتلك الالفاظ مزية وهي مفردة لا يضمها سلك يوحد بينها ويجمع متفرقها • ولكي يظهر عبدالقاهر اعجاز القرآن ويرد ما كان يشيع في البيئات المختلفة اتجه الى نظرية النظم يسد بها المسالك ويفند آراء المختلفين ويوقف طعنات الحاقدين• وقد وفق في ذلك كل التوفيق وجاء بنظرية لها قيمتها في الدراسات القرآنية والبلاغية ، يقول الدكتور مندور : « منهج عبدالقاهر يستند الى نظرية في اللغة ، أرى فيها ويرى معي كل من يمعن النظر انها تماشي ما وصل اليه علم اللسان الحديث من آراء • ونقطة البدء تجدها في آخر دلائل الاعجاز حيث يقرر المؤلف ما يقرره علماء اليوم من أن اللغة ليست مجموعة من الالفاظ بل مجموعة من العلاقات وعلى هذا الاساس العام بنى عبدالقاهر كل تفكيره اللغوى الفني »[1] •

ولم يقف عند الاهتمام بالنظم وانما اهتم بالتصوير الادبي الذي لا يكون الا بترتيب الالفاظ والتأليف بينها ، يقول : « ومعلوم ان سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة وان سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار • فكما أن محالا اذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته أن تنظر الى الفضة الحاملة لتلك الصورة أو الذهب الذي وقع فيه العمل وتلك الصنعة ، كذلك محال اذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه • وكما أنا لو فضلنا خاتما على خاتم بان تكون فضة هذا أجود أو فصه أنفس لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم ، كذلك ينبغي اذا فضلنا بيتا على بيت من أجل معناه أن لا يكون تفضيلا له من حيث هو شعر وكلام »[2] •

---

(١) في الميزان الجديد ص ١٤٧ ، وينظر النقد المنهجي عند العرب ص ٣٢٦ ، وقضايا النقد الادبي والبلاغة ص ٣٠٢ وما بعدها ، ونظرية عبدالقاهر في النظم ص ٤٧ وما بعدها •

(٢) دلائل الاعجاز ص ١٩٦-١٩٧ •

فعبدالقاهر يرى أن للتصوير الادبى قيمة كبيرة ، ولذلك أطال الكلام فى « أسرار البلاغة » على الوسائل التى تجعل الصورة حسنة مقبولـــة ، وفصل القول فى نظرية النظم ، وذهب الى أبعد من هـــذا ورأى ان فى الاستعارة ما لا يمكن بيانه الا بعد العلم بالنظم والوقوف على حقيقته .

يقول متحدثا عن الاستعارة فى بيت الشاعر :

سالت عليه شعاب الحى حين دعا   أنصاره بوجوه كالدنانـير

« فانك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها انما تم لها الحسن وانتهى الى حيث انتهى بما توخى فى وضع الكلام من التقديم والتأخير ، وتجدها قد ملحت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لها . وان شككت فاعمد الى الجارين والظرف فأزل كلا منها عن مكانه الذى وضعه الشاعر فيه فقل : « سـالت شعاب الحى بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره » ثم انظر كيف يكون الحال وكيف يذهب الحسن والحلاوة وكيف تعدم اريحيتك التى كانت ، وكيف تذهب النشوة التي كنت تجدها »[1] .

ان الفصاحة عنده لا تكون الا بتوخي معاني النحو أى النظم ، والالفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف ويعمد بها الى وجه فى التركيب. فلو انك عمدت الى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عدا كيف جاء واتفق وأبطلت نضده ونظامه الذى عليه بنى وفيه أفرغ المعنى وأجرى ، وغيرت ترتيبه الذى بخصوصيته أفاد كما أفاد ، وبنسقه المخصوص أبان المراد نحو أن تقول فى « قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل » : « منزل قفا ذكرى من نبكِ حبيب » ، أخرجته من كمال البيان الى محال الهذيان ، نعم وأسقطت نسبته من صاحبه وقطعت الرحم بينه وبين منشئه ،بل أحلت أن يكون له اضافة الى قائل ونسب يخص بمتكلم[2] .

وانتهى الى الحكم بالخطأ على من قصر الفصاحة على الكلمات من حيث

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٧٨ .

(٢) ينظر اسرار البلاغة ص ٨ .

هى ألفاظ منطوقة وأصوات مسموعة ، والاديب لا يطلب اللفظ بحال وانما يطلب المعنى فاذا ظفر بالمعنى فاللفظ معه وازاء ناظره • وهو فى ذلك يتفق مع ما يقوله « نوديه Nodier » من « أن الكلمة ثمرة للفكرة فمتى نضجت الفكرة سقطت كما تسقط الثمرة الناضجة ولـكنها تسـقط على كلمتها » • ومع ما يقوله جوبير Joubert من « أن الفكرة عندما تصل الى تمامها تصبح بكلمتها »[1] •

وعرف فخر الدين الرازى (ـ٦٠٦هـ) الفصاحة بانها « خلوص الكلام من التعقيد »[2] ، وهى ـ عنده ـ تتصل بالمعنى لان الافادة اللفظية يستحيل تطرق الكمال والنقصان اليها ، فان السامع للفظ اما أن يكون عالما بكونـه موضوعا لمسماه أو لا يكون ، فان كان عالما به عرف مفهومه بتمامه وان لم يكن عالما به لم يعرف منه شيئا أصلا •

وحصر البحوث المتعلقة بالدلالة اللفظية فى أمرين :

أحدهما : ان الفصاحة والبلاغة لا يجوز عودهما الى الدلالة اللفظية •

والاخر : ان الفصاحة وان كانت غير عائدة الى الدلالة اللفظية ، لكن من الامور العائدة الى جوهر اللفظ والى دلالته الوضعية ما يفيد الكلام كمالا وزينة وجمالا •

وهذه فكرة عبدالقاهر التى بنى عليها نظريته فى النظم •

وكان ضياء الدين بن الاثير (ـ٦٣٧هـ) أوضح من السابقين تصورا وفهما للفصاحة ، وقد اهتم بها اهتماما عظيما وصحح كثـيرا من الآراء فى كتابيه « المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر » و « الجامع الكبير » •يقول عن الفصاحة : « اعلم ان هذا باب متعـذر على الوالج ومسلك متوعر على الناهج ، ولم يزل العلماء من قديم الوقت وحديثه يكثرون القول فيه والبحث عنه ولم أجد من ذلك ما يعوّل عليه الا القليل • وغاية ما يقال فى هـذا

---

(١) ينظر بلاغة ارسطو بين العرب واليونان ص ٣٧٩ ، ونظرية عبدالقاهر فى النظم ص ٨٢ ودلائل الاعجاز ص ٤٩ •

(٢) نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز ص ٩ •

الباب : ان الفصاحة هى الظهور والبيان فى أصل الوضع اللغوى • يقال : أفصح الصبح اذا ظهر • ثم انهم يقفون عند ذلك ولا يكشفون عن السر فيـــه »[1] •

ولا تتبين حقيقة الفصاحة بهذا القول لانه يعترض عليه بوجوه من الاعتراضات :

أحدها : انه اذا لم يكن اللفظ ظاهرا بينا لم يكن فصيـــحا ، ثم اذا ظهر وتبين صار فصيحا •

الوجه الآخر : انه اذا كان اللفظ الفصيح هو الظاهر البين فقد صار ذلك بالنسب والاضافات الى الاشخاص ، فان اللفظ قد يكون ظاهرا لزيد ولا يكون ظاهرا لعمرو ، فهو اذن فصيح عند هذا وغير فصيح عند هذا • وليس كذلك بل الفصيح هو فصيح عند الجميـع لا خلاف فيه بحال من الاحوال ، لانه اذا تحقق حد الفصاحة وعرف ما هي لم يبق فى اللفظ الذى يختص به خلاف •

الوجه الثالث : انه اذا جيء بلفظ قبيح ينبو عنه السمع وهو مع ذلك ظاهر بين ينبغى أن يكون فصيحا ، وليس كذلك ؛لان الفصاحة وصف حسن اللفظ لا وصف قبح •

فهذه الاعتراضات الثلاثة واردة على قول القائل : « ان اللفظ الفصيح هو الظاهر البين » ، ومعنى ذلك ان ابن الاثير لا يأخذ بهذا القول الذى أثار حيرته فمضى يبحث عن تعريف للفصاحة • وقد قال : « ان الكلام الفصيح هو الظاهر البين » ويريد بالظاهر البين أن تكون ألفاظه مفهومة لا يحتـــاج فهمها الى استخراج من كتاب لغة ، وانما كانت بهذه الصفة لانها تكون مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر دائرة فى كلامهم ، وانما كانت مألوفة الاستعمال دائرة فى الكلام دون غيرها من الالفاظ لمكان حسنها ، وذلك ان أرباب النظم والنثر غربلوا اللغة باعتبار ألفاظها وسبروا وقسموا فاختاروا الحسن من

---

(١) المثل السائر ج١ ص ٦٤ •

الالفاظ فاستعملوه ونفوا القبيح منها فلم يستعملوه ، فحسن الالفـــاظ سبب استعمالها دون غيرها واستعمالها دون غيرها سبب ظهورها وبيانها ، فالفصيح اذن من الالفاظ هو الحسن •

فان قيل : من أي وجه علم أرباب النظم والنثر الحسن من الالفاظ حتى استعملوه ، وعلموا القبيح منها حتى نفوه ولم يستعملوه ؟ قيل لهم : بان هذا من الامور المحسوسة التي شاهدها من نفسها ، لان الالفاظ داخلة في حــيز الاصوات ، فالذي يستلذه السمع منها ويميل اليه هو الحسن والذي يكرهه وينفر عنه هو القبيح • ألا ترى أن السمع يستلذ صوت البلبل من الطــير وصوت الشحرور ويميل اليهما ، ويكره صوت الغراب وينفر عنه ، وكذلك يكره نهيــق الحمــار ولا يجد ذلك في صــهيل الفرس • والالفـــاظ جارية هذا المجرى ، فانه لاخلاف في أن لفظة « المُزْنة » و « الدِيمة » حسنة يستلذها السمع ، وان لفظة « البُعاق » قبيحة يكرهها السمع ، وهذه اللفظات من صفة المطر ، وهي تدل على معنى واحد • ومع هذا فانك تــرى لفظتي « المزنة » و « الديمة » وما جرى مجراهما مألوفة الاستعمال ، وترى لفظ « البعاق » وما جرى مجراه متروكا لا يستعمل ، وان استعمل فانمــا يستعمله جاهل بحقيقة الفصاحة أو من ذوقه غير سليم •

لقد ثبت ان الفصيح من الالفاظ هو الظاهر البين ، وانما كان ظاهرا بينا لانه مألوف الاستعمال ، وانما كان مألوف الاستعمال لمكان حسنه ، وحسنه مدرك بالسمع ، والذي يدرك بالسمع انما هو اللفظ ؛ لانه صوت يأتلف عن مخارج الحروف ، فما استلذه السمع منه فهو الحسن وما كرهه فهـــو القبيح ، والحسن هو الموصوف بالفصاحة ، والقبيح غير موصوف بفصــاحة لانه ضدها لمكان قبحه • ولو كانت الفصاحة لامر يرجع الى المعنى لكانت هذه الالفاظ في الدلالة عليه سواء ليس منها حسن ومنها قبيح ، ولما لم يكن كذلك علم أنها تخص اللفظ دون المعنى • وابن الاثير لم يفصل بين اللفظ والمعنى في هذا القول وانما خص اللفظ بصفة هي له ، والمعنى يجيء فيــه ضمنا وتبعــا •

وأشار الى الفصاحة عند المتقدمين فقال : « وقد ذكر من تقدمنى من علماء البيان للالفاظ المفردة خصائص وهيآت تتصف بها واختلفوا فى ذلك واستحسن أحدهم شيئا فخولف فيه وكذلك استقبح الاخر شيئا فخولف فيه ، ولو حققوا النظر ووقفوا على السر فى اتصاف بعض الالفاظ بالحسن وبعضها بالقبح لما كان بينهم خلاف فى شى منها »[١] .

ورد رأى من ذهب الى أن كل الالفاظ حسن والواضع لم يضع الا حسنا ، وقال : « ومن يبلغ جهله الى أن لا يفرق بين لفظة « الغصن » ولفظة « العسلوج » وبين لفظة «المدامة» ولفظة « الاسفنط » ، وبين لفظة « السيف» ولفظة « الخنشليل » وبين لفظة « الاسد » ولفظة « الفَدوكس » فلاينبغى أن يخاطب بخطاب ولا يجاوب بجواب ، بل يترك وشأنه كما قيل : اتركوا الجاهل بجهله ولو ألقى الجعر[٢] فى رحله . وما مثاله فى هذا المقام الا كمن يسوى بين صورة زنجية سوداء شوهاء الخلق ذات عين محمرة وشفة غليظة كأنها كلوة وشعر قطط[٣] كأنه زبيبة ، وبين صورة رومية بيضاء مشربة بحمرة ذات خد أسيل وطرف كحيل ، ومبسم كأنما نظم من أقاح ، وطرة كأنها ليل على صباح . فاذا كان بانسان من سقم النظر أن يسوى بين هذه الصورة وهذه فلا يبعد أن يكون به من سقم الفكر أن يسوى بين هذه الالفاظ وهذه . ولا فرق بين النظروالسمع فى هذا المقامفان هذا حاسة وهذا حاسة ، وقياس حاسة على حاسة مناسب » . ثم قال : « ومن له أدنى بصيرة يعلم أن للالفاظ فى الاذن نغمة لذيذة كنغمة أوتار ، وصوتا منكرا كصوت حمار ، وان لها فى الفم أيضا حلاوة كحلاوة العسل ومرارة كمرارة الحنظل ، وهي على ذلك تجرى مجرى النغمات والطعوم »[٤] .

---

(١) المثل السائر ج١ ص ١٤٨ .

(٢) الجعر : مايبس من العذرة فى المجعر أى الدبر . أو نجو كل ذات مخلب من السباع .

(٣) الشعر القطط : القصير الجعد .

(٤) المثل السائر ج١ ص ١٤٩ــ١٥٠ .

وذكر أن ابن سنان قد تحدث عما يتعلق باللفظة الواحدة من الاوصاف وقسمها عدة أقسام كتباعد مخارج الحروف ، وأن تكون الكلمة جارية على العرف العربى غير شاذة ، وأن تكون مصغرة فى موضع يعبر به عن شيء لطيف أو خفي أو ماجرى مجراه ، وأن لاتكون مبتذلة بين العامة . وغير ذلك من الاوصاف وفى الذى قاله ابن سنان ما لا حاجة اليه ، لان تباعد المخارج يشمل معظم اللغة العربية ، وان جريان اللفظة على العرف العربى ليس مما يوجب لها حسنا ولا قبحا وانما يقدح فى معرفة مستعملها بما ينقله من الالفاظ ، وان تصغير الكلمة مما لاحاجة الى ذكره لان المعنى يسوق اليه .

أما الاوصاف الاخرى التى ذكرها ابن سنان فقد أقام عليها ابن الاثير بحثه فى الالفاظ فقبل منها ما قبل ورفض ما رفض ، وشرح تلك الاوصاف بما يغنى عن كثير من الكتب ، وكانت دراسته ـ كما قلنا ـ من أوسع الدراسات وأعمقها ، ولم يأت بعده من أضاف اليها ، بل اتجهت الكتب الى التلخيص والقضاء على النزعة الادبية التى اتسمت بها دراسة ابن الاثير .

وعندما قسم السكاكى (ـ٦٢٦هـ) البلاغة لم يعقد فصلا للفصاحة ، وانما تكلم عليها بعد أن انتهى من علم البيان ، وذكر انها قسمان : قسم راجع الى المعنى وهو خلوص الكلام من التعقيد ، وآخر راجع الى اللفظ ، وهو أن تكون الكلمة عربية أصيلة . وعلامة ذلك ان تكون كثيرة الدوران على ألسنة الموثوق بعربيتهم ، واستعمالها أكثر ، لا مما أحدثه المولدون أو أخطأت فيه العامة ، وأن تكون أجرى على قوانين اللغة سليمة من التنافر .

والمراد بتعقيد الكلام أن يعثر صاحبه الفكر فى متصرفه ويشيك الطريق الى المعنى ، كقول الفرزدق :

وما مثله فى الناس الا مملكا ... أبو أمه حى أبوه يقاربه

وكقول أبى تمام :

ثانيه فى كبد السماء ولم يكن ... كاثنين ثان اذ هما فى الغار

وغير المعقد أن يفتح صاحبه للفكرة الطريق ويمهده .[1]

وجعل الفصاحة غير لازمة للبلاغة التى حصر مرجعها فى المعانى والبيان ولم يجعل للفصاحة مرجعا فى شيء منهما . والسكاكى فى ذلك يتابع عبد القاهر والرازي اللذين نظرا الى النظم ولم يوليا اللفظ المفرد أهمية كبيرة .

واختصر بدرالدين بن مالك (ـ٦٨٦هـ) القسم الثالث من « مفتاح العلوم » وتكلم على الفصاحة وأطلق عليها اسم « البديع » الذى قال عنه : « هو معرفة توابع الفصاحة » . وعرف الفصاحة بانها « صوغ الكلام على وجه له توفية بتمام الافهام لمعناه وتبين المراد منه »[2] . وقسمها الى معنوية ولفظية ، وذكر ما فى « مفتاح العلوم » من صفاتهما . ثم قسم المعنوية الى مختصة بالافهام والتبيين ، والى مختصة بالتزيين والتحسين . وهذه الانواع الثلاثة هى علم البديع عند المتأخرين .

وحينما جاء الخطيب القزوينى (ـ٧٣٩هـ) وجد الطريق ممهدا فأخذ عن علماء البلاغة المتقدمين ورتب بحث الالفاظ ترتيبا علميا خالف فيه السكاكى وبدرالدين لانه اتخذها مقدمة للبلاغة . وفى هذه المقدمة التى كانت كشفا عن معنى الفصاحة والبلاغة وانحصار علم البلاغة فى المعانى والبيان ـ تكلم على صفات الالفاظ وما ينبغى أن تكون عليه . وكان بحثه ايذانا باتخاذ الفصاحة مقدمة لعلوم البلاغة بعد أن كانت موضوعا تشيع فيه الحياة .

بدأ القزوينى مقدمته بقوله « للناس فى تفسير الفصاحة والبلاغة أقوال مختلفة لم أجد ـ فيما بلغني منها ـ ما يصلح لتعريفهما به ولا ما يشير الى الفرق بين كون الموصوف بهما الكلام وكون الموصوف بهما المتكلم فالاولى أن نقتصر على تلخيص القول فيهما بالاعتبارين »[3] .

وهذا غير صحيح ؛ لان البلاغيين اهتموا بهما ووضعوا لهما حدودا وفرقوا بينهما . وكانت بحوث الجاحظ وقدامة وأبى هلال وعبدالقاهر وابن

(١) ينظر مفتاح العلوم ص ١٩٦-١٩٧ .
(٢) المصباح ص ٧٥ .
(٣) الايضاح ص ٢ .

سنان وابن الاثير من أروع ما كتب وأبدع ما خطته يد بلاغي ناقد . وما مقدمة القزويني الا خلاصة هذه الدراسات، فكيف لم يترك القدماء تعريفا للفصاحة أو البلاغة يمكن الركون اليه ؟ ولعله في ذلك متأثر بدعوى عبدالقاهر الذى يقول : « لم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء فى معنى الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة وفى بيان المغزى من هذه العبارات وتفسير المراد بها فأجد بعض ذلك كالرمز والاشارة فى خفاء وبعضه كالتنبيه على مكان الخبيء ليطلب ، وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج[1] . ويقول : « انا لم نر العقلاء قد رضوا من أنفسهم فى شىء من العلوم أن يحفظوا كلاما للاولين ويتدارسوه ، ويكلم به بعضهم بعضا من غير أن يعرفوا له معنى ويقفوا منه على غرض صحيح ، ويكون عندهم أن يسألوا عن بيان له وتفسير الا علم الفصاحة ، فانك ترى طبقات من الناس يتداولون فيما بينهم ألفاظا للقدماء وعبارات من غير أن يعرفوا لها معنىً أصلا ، أو يستطيعوا إنْ يسألوا عنها أن يذكروا لها تفسيرا يصح »[2] .

وهذا صحيح فى عهد التأليف الاول وعند عبدالقاهر الذى لم يفرق بين المصطلحين لانهما عنده يعبر بهما عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الاغراض والمقاصد وراموا أن يعلموهم ما فى نفوسهم ، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم[3] . أما القزويني فالامر عنده مختلف لان مصطلحات البلاغة استقرت فى عهده وأصبح للفصاحة والبلاغة محتواها .

والفصاحة والبلاغة عند القزوينى تقع كل واحدة منهما صفة لمعنيين :

الاول : الكلام كما فى « قصيدة فصيحة أو بليغة » و « ورسالة فصيحة أو بليغة » .

الثانى : المتكلم كما فى « شاعر فصيح أو بليغ » و « كاتب فصيح أو بليغ » .

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٢٨ .
(٢) دلائل الاعجاز ص ٣٥٠ .
(٣) دلائل الاعجاز ص ٣٥ .

وتحدث عن فصاحة اللفظة المفردة وفصاحة الكلام ، وقال ان الفصاحة تقع صفة للمفرد فيقال : « كلمة فصيحة » ولا يقال : « كلمة بليغة » . ووضع للفظة المفردة شروطا هي : خلوصها من تنافر الحروف والغرابة ومخـــالفة القياس اللغوى .

فالتنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية فى الثقل على اللسان كمـا روى أن اعرابيا سئل عن ناقته فقال : « تركتها ترعى الهعخع » ومنه ما هــو دون ذلك كلفظ « مستشزر » فى قول امرىء القيس :

غدائرهـا مستشزرات الى العلى   تضل العقاص فى مثنى ومرسل

ولم يشرح القزوينى هذا التنافر ولم يذكر علته ، وكان ابن سنان قد علله بقوله : « وعلة هذا واضحة وهى ان الحروف التى هى أصوات تجرى من السمع مجرى الالوان من البصر ، ولا شك فى أن الالوان المتباينة اذا جمعت كانت فى المنظر احسن من الالوان المتقاربة ، ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة ، لقرب ما بينه وبين الاصفر وبعد ما بينه وبين الاسود . واذا كان هذا موجودا على هذه الصفة لا يحسن النزاع فيه كانت العلة فى حسن اللفظة المؤلفة من الحروف المتباعدة هى العلة فى حسن النقوش اذا مزجت من الالوان المتباعدة » .[1]

لقد جمعت لفظة « الهعخع » القبح من أطرافه ؛ لان جميع حروفهـا حلقية ، وحرف حلقى واحد يبعث على الثقل فكيف اذا اجتمع الهاء والعين والخاء فى كلمة واحدة ؟ ولفظة « مستشزرات » ــ وان كانت أخف منها ــ ثقيلة لتوسط الشين التى هى من الحروف المهموسة الرخوة بين التاء التى هى من المهموسة الشديدة ، والزاى التى هى من المجهورة الرخوة . ويرى النقاد أن امرأ القيس لو قال : « مستشرف » لزال الثقل .

والغرابة أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها فيحتاج فى معرفته الى البحث فى كتب اللغة كما روى عن عيسى بن عمر النحوى انه سـقط عن

---

(١) سر الفصاحة ص ٦٦ .

حمار فاجتمع عليه الناس فقال : « ما لكم تكأكأتم عليّ تكأكؤكم على ذى جِنة ، افرنقعوا عني » .

أو يخرج له وجه بعيد كما فى قول العجاج :

وفاحما ومرسنا مسرجا

فانه لم يعرف ما أراد بقوله « مسرجا » حتى اختلف فى تخريجه ، فقيل : هو من قولهم للسيوف « سريجية » منسوبة الى قين يقال له سريج ، يريد انه فى الاستواء والدقة كالسيف السريجى . وقيل : من السراج ، يريد انه فى البريق كالسراج ، وهذا يقرب من قولهم : « سرج وجهه » أي : حسن ، و « سَرّج الله وجهه » أى : بهجه وحسنه .

وهذا بحث اهتم به النقاد والبلاغيون كابن سنان الذى عاب الذين يكثرون من الوحشي الغريب فى كلامهم ، وذكر ما وقع فيه بعضهم نخرج كلامه عن الفصاحة وبعد عن الفهم[1] ، وكابن الاثير الذى يرى أن الوحشي ليس المستقبح من الالفاظ وانما هو قسمان : غريب حسن وغريب قبيح .[2]

ومخالفة القياس كقول الراجز :

الحمد لله العلى الاجلل   الواهب الفضل الكريم المجزل

فان القياس « الاجل » بالادغام .

ولم يوضح مخالفة القياس ، وكان ابن سنان قد تكلم عليه ووضحه وادخل فيه كل ما ينكره أهل اللغة ويرده علماء النحو من التصرف الفاسد فى الكلمة .[3]

ووضع القزوينى قاعدة للفظة الفصيحة فقال : « ثم علامة كون الكلمة فصيحة أن يكون استعمال العرب الموثوق بعربيتهم لهـا كثيرا أو أكثر من استعمالهم ما بمعناها » .[4] وبعد أن انتهى من بحث فصاحة اللفظة المفردة

---

(1) ينظر سر الفصاحة ص ٧٥ .
(2) ينظر المثل السائر ج١ ص ٥٧ ، ١٥٥ ، ١٦٣ .
(3) سر الفصاحة ص ٨٢-٩١ .
(4) الايضاح ص ٤ .

تحدث عن فصاحة الكلام وهى : خلوصه من ضعف التأليف ، وتنافر الكلمات، والتعقيد مع فصاحتها .

ومثل لضعف التأليف بقوله : « ضرب غلامه زيدا » وهو ممتنع عند الجمهور لئلا يلزم رجوعه الى ما هو متأخر لفظا ورتبة . ورد قول من ذهب الى أن بيت النابغة الذبيانى :

جزى ربُه عنى عدىَّ بن حاتم جزاء الكلاب العاويات وقد فَعَل

من هذا النوع ، وقال ان الضمير فى « ربه » لمصـــدر « جزى » أى : رب الجزاء ، كما فى قوله تعالى : « اعدلوا هو أقرب للتقوى »[1] ، أى : العدل.

والتنافر ما تكون الالفاظ بسببه متناهية فى الثقل على اللسان متتابعـــة كما فى البيت الذى انشده الجاحظ :

وقبر حرب بمــكان قفر وليس قـــرب قبر حرب قبرُ

ومنه ما دون ذلك كقول أبى تمام :

كريم متى امدَحْه امدَحْه والورى معى ، واذا ما لمته لمته وحدى

وسبب التنافر فى « أمدحه » ما بين الحاء والهاء من تنافر لانهما حلقيان ، وتكرار الكلمة فى الشرط والجزاء .

والتعقيد هو أن لا يكون ظاهر الدلالة على المراد به ، وله سببان :

الاول : ما يرجع الى اللفظ وهو أن يختل الكلام ولا يدرى السامع كيف يتوصل منه الى معناه ، كقول الفرزدق :

وما مثله فى الناس الى مملكا أبو أمه حى أبوه يقاربـــه

ووضع القزوينى قاعدة الكلام الخالى من التعقيد اللفظى وقال انه « ما سلم نظمه من الخلل فلم يكن فيه ما يخالف الاصل من تقديم أو تأخير أو اضمار أو غير ذلك الا وقد قامت عليه قرينة ظاهرة لفظية أو معنوية » .[2]

وهذا ما تكلم عليه عبدالقاهر وسماه « التعقيد » أو « فساد النظم »[3] ،

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٨ .

(٢) الايضـاح ص ٦ .

(٣) أسرار البلاغة ص ١٦٢ .

وأدخله ابن سنان فی بحث التقديم والتأخير[1] ، واعتبره ابن الاثير من المعاظلة المعنوية التي يسببها التقديم والتأخير[2] .

الثانی : ما يرجع الى المعنى وهو أن لا يكون انتقال الذهن من المعنى الاول الى المعنى الثانى الذى هو لازمه والمراد به ظاهرا كقول العباس بن الاحنف :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا　　　وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

كنى بسكب الدموع عما يوجبه الفراق من الحزن وأصاب ، لان من شأن البكاء أن يكون كناية عنه كقولهم : « أبكانی وأضحكنی » أی : أساءنی وسرني ؛ كما قال الحماسي :

أبكانی الدهر ويا ربما　　　أضحكنی الدهر بما يرضى

ثم طرد ذلك فی نقيضه فأراد أن يكنی عما يوجبه دوام التلاقی من السرور بالجمود لظنه ان الجمود خلو العين من البكاء مطلقا من غير اعتبار شیء آخر، وأخطأ لان الجمود خلو العين من البكاء فی حال ارادة البكاء منها ، فلايكون كناية عن المسرة وانما يكون كناية عن البخل كما قال الشاعر :

ألا انّ عينا لم تَجُدْ يوم واسطٍ　　　عليك بجاری دمعها لجمود

وضبط الكلام الخالی من التعقيد وقال عنه : « ماكان الانتقال من معناه الاول الى معناه الثاني الذي هو المراد به ظاهرا حتى يخيل الى السامع أنه فهمه من حاق اللفظ »[3] .

واضاف الى ذلك خلوص الكلام من كثرة التكرار ، كقول المتنبی :

وتسعدنی فی غمرة بعد غمرة　　　سبوح لها منها عليها شواهد

وخلوه من تتابع الاضافات ، كقول ابن بابك :

حمامة جرعا حومة الجندل اسجعی　　　فأنت بمرأى من سعاد ومسمع

---

(1) سر الفصاحة ص ١٢٥ .
(2) المثل السائر ج١ ص ٢٩٤ ، و ج٢ ص ٤٤ وما بعدها .
(3) الايضاح ص ٦ .

وكان الصاحب بن عباد قد اشار اليه وقال : « اياك والاضافات المتداخلة فانها لا تحسن » • ويرى القزويني ان هذا الشرط لا يؤخذ به دائما ؛ لان ذلك ان أفضى باللفظ الى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه والا فلاتخل بالفصاحة ، وقد قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الكريم بن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم » •

وهذا رأى عبدالقاهر الذى يقول : « لكنه اذا سلم من الاستكراه ملح ولطف » • ومما حسن فيه قول ابن المعتز :

وظلّتْ تدير الراح أيدى جآذرٍ عتاق دنانير الوجوه ملاح

ومما جاء فيه حسنا جميلا قول الخالدى يصف غلاما له :

ويعرف الشعر مثل معرفتي
وهو على أن يزيد مجتهد

وصيرفى القريض ، وزان دينار
المعاني الدقاق منتقد (١)

ومما يتصل بالالفاظ المركبة ، الفنون التى سماها البلاغيون المحسنات اللفظية ، وهى عظيمة الاهمية فى دراسة الالفاظ ، وينبغى أن توضع فى بحث الفصاحة لان لها تأثيرا فى الكلام • واذا تابع القزوينى صاحب « مفتاح العلوم » فتحدث عنها فى البديع ، فان دراستها هنا أجدى • وقد سبق الى ذلك علماء البلاغة كابن الاثير الذى قسم الصناعة اللفظية قسمين :

الاول : فى اللفظة المفردة •

والثانى : فى الالفاظ المركبة ، وأدخل فيه السجع والتصريع والتجنيس والترصيع ولزوم ما لا يلزم والموازنة واختلاف صيغ الالفاظ وتكرار الحروف •

---

(١) الايضاح ص ٨ ودلائل الاعجاز ص ٨٢ •

هذه دراسة البلاغيين للفصاحة ، أما النقاد فقد تحدثوا عن دقة الالفاظ وايحائها وسهولتها وجزالتها والفتها وغرابتها وغير ذلك مما نجده فى كتب البلاغة والنقد ، وهو حديث فيه طرافة وجدة يتم ما ذكره البلاغيون عن الفصاحة واوصافها • واهتم المعاصرون بالبحث فى الالفاظ الموحية والقوية والمؤنسة والعذبة ، وتحدثوا عن تآلفها وتعبيرها عن الانفعال والفكرة واحداثها الصور البديعة ، وعنوا بها لان اختيار الكلمة المؤثرة هي أول خطوة للبناء الفني • وذهب الاستاذ السحرتي الى أن اللفظ « عنصر على جانب عظيم من الاهمية ، وقد يقوم به القصيد دون حاجة الى صورة خيالية أو موسيقى جياشة ، فان الالفاظ وصوتها ودلالتها وجوها وتآلفها كافية لابداع القصيد البديع»[1] ، وان الالفاظ تلعب « دورا مهما فى الايحاء برؤية الشاعر ، فلا تعتبر الالفاظ وسيلة للانابة عن الرؤية بل تكون مادة من موادها »[2] •

وقرر الاستاذ المرحوم أمين الخولى أن أول ما ينبغي دراستهفى البلاغة « الكلمة » ، ووضع منهج دراستها من حيث هى عنصر لغوى ومن حيث هى جزء من الجملة •[3]

ولن يكلفنا بحث الالفاظ عناءا كبيرا ؛ لان القدماء تحدثوا عنها ، وليس لنا الا ان نعود الى كتبهم نستخلص منها ما فيه النفع ، وننظر فى الدراسات النقدية الحديثة ونضم القديم الى الجديد لنخرج بدراسة تكون ذات قيمة في الدراسات النقدية الحديثة •

وكنا قد دعونا ــ كما دعا الخولى ــ الى الاقتصار علىمصطلح « البلاغة » للدلالة على الفصاحة والبلاغة ، ومما قلناه قبل اعوام : « ونرى ــ كما يرى الاستاذ أمين الخولى ــ انه لا حاجة الى استعمال مصطلحين هما « الفصاحة » و « البلاغة » بل ينبغي التسوية بينهما كما رأينا عند الجاحظ وعبدالقاهر تقليلا للاقسام : فنقول : « بلاغة الكلمة » و « بلاغة الكلام » كما نستطيع أن

---

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ص ٥٧ •
(٢) النقد الادبى من خلال تجاربى ص ٨١ •
(٣) فن القول ص ٢١٧ •

نقول « بلاغة الالفاظ » و « بلاغة المعاني » أي جودة ذلك[١] . وحينئـــذ نقول : ان من شروط البلاغة أن تكون الالفاظ كذا وكذا مما سبق ذكره ، ولا يعتبر الكلام بليغا ما لم تكن ألفاظه حسنة كمعانيه ، وبذلك لا يكون مجال لقولهم ان فصاحة الالفاظ غير مستلزمة لبلاغتها وان صرح السكاكى بـــان البلاغة والفصاحـة مما يكسو الكلام حلـة التزيين ويرقيه أعلى درجـــات التحســـين »[٢] .

ولكن الايام تغير كثيرا من الاحكام ، فقد اتضح لنا ان استعمال مصطلح « الفصاحة » للدلالة على الدراسة المتصلة بالالفاظ أكثر دقة وشمولا وجمعا لما تفرق من هذه المباحث فى كتب البلاغة والنقد . ولا يضير الدراســـات الحديثة التمسك بالمصطلحات القديمة ذات الدلالة الواسعة والواضحة معا . والفصاحة احدى تلك المصطلحات التي يمكن أن نجمع في اطارها جميع الدراسات الصوتية واللفظية ، وهى دراسات واسعة ومجدية فى دراسة الادب ونقده .

---

(١) تنظر مادة بلاغة فى دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) ج٤ ص ٦٦ ، ومناهج تجديد ص ٢٦٧ .
(٢) البلاغة عند السكاكى ص ٣٠٣ .

البــلاغة

كلمة البلاغة من الكلمات التى شاع استعمالها فى كتب الادب . وكانت هى والفصاحة صنوين تستعملان معا أو تستعمل الواحدة فى موضع الاخرى.

والبلاغة ــ لغة ــ الانتهاء والوصول ، وفى لسان العرب « بلغ » : « بلغ الشىء يبلغ بلوغا وبلاغا : وصل وانتهى . تبلغ بالشىء : وصل الى مراده . البلاغ : ما يتبلغ به ويتوصل الى الشيء المطلوب . البلاغ : مابلغك، والكفاية . الابلاغ : الايصال . بلغت المكان بلوغا : وصلت اليه ، وكذلك اذا شارفت عليه »

وأشار ابن منظور الى المعنى الاصطلاحى فقال : « البلاغة : الفصاحة . والبَلْغ والبِلْغ : البليغ من الرجال . ورجل بليغ وبَلْغ وبِلْغ : حسن الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كنه ما فى قلبه ، والجمع : بلغاء . وقد بَلُغ بلاغة : صار بليغا » .

وليس فى هذا القول غير المعنى العام للكلمة ، فهى أولا الانتهاء والوصول الى الغاية ، وهى الفصاحة ثانيا ، أى أن الكلمتين مترادفتان . وهذا رأى معظم اللغويين والبلاغيين الاوائل .

ولو تلمسنا هذه اللفظة فى التراث العربى لرأيناها شائعة معروفة ، وقد جاءت لفظة « بليغ » فى قوله تعالى : « فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا »[1] يقول الراغب الإصفهانى فى تفسيرها : « البلاغة تقال على وجهين :

أحدهما : أن يكون بذاته بليغا ، وذلك بأن يجمع ثلاثة أوصاف :صوابا فى موضوع لغته وطبقا للمعنى المقصود وصدقا فى نفسه ، ومتى اخترم

(١) سورة النساء ، الآية ٦٣ .

وصف من ذلك كان ناقصا فى البلاغة .

والثانى : أن يكون بليغا باعتبار القائل والمقول له ، وهو أن يقصد القائل أمرا فيرده على وجه حقيق أن يقبله المقول له . وقوله تعالى : « وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا » يصح حمله على المعنيين »[1] .

وذهب الزمخشرى مذهبا نفسيا فى تفسيرها وأشار الى تأثيرها رمزا فى قوله : « قل لهم قولا بليغا مؤثرا فى قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا »[2] .

وليس فى أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم – مايشير الى هذا المعنى مع كثرة ماجاء من مشتقاتها فى كلامه[3] ، فقد ورد عنه قوله : « ان الله يبغض البليغ الذى يتخلل بلسانه » وجاء عنه انه عاب فيه المتشادقين والثرثارين والذى يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها[4] . ولا نكاد نعثر على بغيتنا فى فترة صدر الاسلام ، وحينما جاء العصر الاموى نجد معاوية بن أبى سفيان يسأل صحارا بن عياش : « ماهذه البلاغة التي فيكم ؟ قال : شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا » . وقال له معاوية : « ما تعدون البلاغة فيكم ؟ قال : الايجاز . قال له معاوية : وما الايجاز ؟ قال صحار : أن تجيب فلا تبطيء ، وتقول فلا تخطيء »[5] .

وفى كتاب « البيان والتبيين » تعريفات كثيرة للبلاغة عند العرب وغيرهم ، فقد قيل للفارسى : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل . وقيل لليونانى : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الاطالة . وقيل للهندى : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة .

---

(١) المفردات فى غريب القرآن ص ٦٠ .
(٢) الكشاف ج١ ص ٤٠٧–٤٠٨ .
(٣) ينظر النهاية فى غريب الحديث والاثر ج١ ص ١٥٢ .
(٤) البيان والتبيين ج١ ص ٢٧١ .
(٥) البيان ج١ ص ٩٦ .

وقال بعض أهل الهند : جماع البلاغة : البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة[1] .

وفسرها عمرو بن عبيد (-١٤٤هـ) فى أول الامر تفسيرا دينيا حين قيل له : ما البلاغة ؟ فقال : ما بلغ بك الجنة ، وعدل بك عن النار ، وما بصرك مواقع رشدك وعواقب غيك . قال السائل : ليس هذا أريد . قال : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يستمع ، ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول . قال : ليس هذا أريد . قال : قال النبى - صلى الله عليه وسلم : « أنا معشر الانبياء بكاء » أى قليلو الكلام ، ومنه قيل : « رجل بكيء » وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله . قال : قال السائل : ليس هذا اريد . قال : كانوا يخافون من فتنة القول ومن سقطات الكلام ما لا يخافون من فتنة السكوت ومن سقطات الصمت . قال السائل : ليس هذا أريد . قال عمرو : فكأنك انما تريد تخير اللفظ فى حسن الافهام ؟ قال : نعم . قال : انك ان اوتيت تقرير حجة الله فى عقول المكلفين وتخفيف المؤونة على المستمعين وتزيين تلك المعانى فى قلوب المريدين بالالفاظ المستحسنة فى الإذان ، المقبولة عند الاذهان رغبة فى سرعة استجابتهم ونفى الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة ، كنت قد اوتيت فصل الخطاب واستحققت على الله جزيل الثواب »[2] .

وقال العتابي (-٢٢٠ هـ) : ان « كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ ، فان أردت اللسان الذي يروق الالسنة ويفوق كل خطيب فاظهار ماغمض من الحق وتصوير الباطل فى صورة الحق[3] » .

وقال الاصمعي (-٢١٦ هـ) عن البليغ : أنه « من طبّق المفصل وأغناك عن المفسّر »[4] .

ولم يعرفها الجاحظ (-٢٥٥هـ) بعد أن ذكر كثيرا من تعريفاتها واكتفى

---

(١) البيان ج١ ص ٨٨ .
(٢) البيان ج١ ص ١١٤ ، وينظر كلام عمرو بن عبيد فى عيون الاخبار ج٢ ص١٧٠ .
(٣) البيان ج١ ص ١١٣ .
(٤) البيان ج١ ص ١٠٦ .

يان اختار قولا أعجبه ، يقول : « وقال بعضهم ــ وهو من أحسن ما اجتبيناه ودوناه ــ لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه الى سمعك أسبق من معناه الى قلبك »[1] .

وليس في هذا التعريف ما يشير الى المعنى الاصطلاحي الذي حدده البلاغيون . والجاحظ في كل ما ذكر لا يضع بين الفصاحة والبلاغة حدا فاصلا ، فكثيرا ما تأتيان مترادفتين ، وهما عنده البيان بمعناه الواسع قبل ان يقيده المتأخرون .

وللمبرد (ــ٢٨٥هـ) رسالة صغيرة سماها « البلاغة » أجاب فيها عن رسالة أحمد بن الواثق الذي سأله : « أي البلاغتين أبلغ ؟ أبلاغة الشعر أم بلاغة الخطب والكلام المنثور والسجع ؟ وأيتهما عندك ــ أعزك الله ــ أبلغ ؟» .

واجابه المبرد : « ان حق البلاغة احاطة القول بالمعنى واختيار الكلام وحسن النظم حتى تكون الكلمة مقاربة أختها ومعاضدة شكلها ، وان يقرب بها البعيد ويحذف منها الفضول »[2] .

ومصطلح « البلاغة » في هذه الرسالة لا يعني العلم المعروف وانما هو تحديد لبعض معانيها . واذا لم نجد فيها ما نطمح اليه فاننا نستطيع القول ان المبرد أول من أطلق « البلاغة » على بعض رسائله .

ويظهر مصطلح البلاغة بوضوح في « كتاب الصناعتين » لابي هلال العسكري (ــ٣٩٥هـ) الذي قال : « ان أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ بعد المعرفة بالله ــ جل ثناؤه ــ علم البلاغة ومعرفة الفصاحة »[3] . وقال : « البلاغة من قولهم : بلغت الغاية اذا انتهيت اليها ، وبلغتها غيري ، ومبلغ الشيء منتهاه . والمبالغة في الشيء الانتهاء الى غايته . فسميت البلاغة بلاغة ؛ لانها تنهي المعنى الى قلب السامع فيفهمه ، وسميت البلاغة بلغة ؛ لانك تتبلغ بها فتنتهي بك الى ما فوقها »[4] .

---

(١) البيان ج١ ص ١١٥ .
(٢) البلاغة ص ٥٩ــ٦٠ .
(٣) كتاب الصناعتين ص ١ .
(٤) كتاب الصناعتين ص ٦ .

وأبدى رأيه في تعريفها وحددها بقوله : « البلاغة ، كل ما تبلغ به قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك ، مع صورة مقبولة ومعرض حسن »[1] .

والبلاغة ـ عنده ـ من صفة الكلام لا من صفة المتكلم ، ولذلك لايجوز أن يسمى الله بليغا ، اذ لا يجوز أن يوصف بصفة موضوعها الكلام . وتسمية المتكلم بانه بليغ توسع ، وحقيقته أن كلامه بليغ ، كما نقول : « رجل محكم » ونعني أن أفعاله محكمة . قال تعالى : « حكمة بالغة » فجعل البلاغة من صفة الحكمة ولم يجعلها من صفة الحكيم ، الا أن كثرة الاستعمال جعلت تسمية المتكلم بانه بليغ كالحقيقة .

وفي كتاب الصناعتين رأيان :

الاول : ان الفصاحة والبلاغة ترجعان الى معنى واحد وان اختلف أصلاهما ؛ لان كل واحد منهما انما هو الابانة عن المعنى والاظهار له .

والثاني : أن الفصاحة والبلاغة مختلفتان ، ذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ ؛ لان الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى ، والبلاغة انما هي انهاء المعنى الى القلب فكأنها مقصورة على المعنى[2] .

وحاول ابن سنان الخفاجي (ـ٤٦٦ هـ) أن يحدد البلاغة ويرسم معالمها ، غير انه لم يأت بالكلمة الفاصلة والتعريف الجامع المانع . ولم يك وحده الذي فعل ذلك ، فقد مرت بالبلاغة تعريفات كثيرة نقلها الجاحظ في « البيان والتبيين » وأبو هلال في الصناعتين ، ولذلك أشار الى اضطراب القوم في حدها والوقوف على كنهها ، وقال : « وقد حد الناس البلاغة بحدود اذا حققت كانت كالرسوم والعلائم وليست بالحدود الصحيحة . فمن ذلك قول بعضهم : « لمحة دالة » ، وهذا وصف من صفاتها فأما أن يكون حاصرا لها وحدا يحيط بها فليس ذلك بممكن لدخول الاشارة من غير كلام يتلفظ

---

(١) كتاب الصناعتين ص ١٠ .

(٢) كتاب الصناعتين ص ٧ـ٨ وتنظر ص ١٨ من هذا الكتاب .

به تحت هذا الحد »[1] .

ولم يعرف البلاغة وانما فرق بينها وبين الفصاحة وقال : « والفرق بين الفصاحة والبلاغة ،ان الفصاحة مقصورة على وصف الالفاظ ، والبلاغة لا تكون الا وصفا للالفاظ مع المعانى . لا يقال فى كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة وان قيل فيها فصيحة ، وكل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغا »[2] .

لقد وضع ابن سنان حدا واضحا بين المصطلحين ، وحصر الفصاحة فى الالفاظ والبلاغة فى المعانى ، وأصبحت الفصاحة شطر البلاغة وأحد جزئيها . وهذه التفاتة حسنة ، ولكنه أطلق « الفصاحة » على موضوعات البلاغة وسمى كتابه « سر الفصاحة » ، ومعنى ذلك انها تشمل الالفاظ والمعانى ، وقد أوضح ذلك بقوله : « وفى البلاغة أقوال كثيرة غير خارجة عن هذا النحو . واذا كانت الفصاحة شطرها وأحد جزئيها ، فكلامى على المقصود ـ وهو الفصاحة ـ غير متميز الا فى الموضع الذى يجب بيانه من الفرق بينهما على ما قدمت ذكره ، فأما ما سوى ذلك فعام لا يختص وخليط لا ينقسم »[3] . وابن سنان حينما ينتقل الى تأليف الكلام يظل مرتبطا بالحديث عن الالفاظ ، لان البلاغة أن توضع الالفاظ موضعها حقيقة أومجازا، تقديما أو تأخيرا ، قلبا أو حشوا ، وغير ذلك .

ولم يفرق عبدالقاهر (ـ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) بين المصطلحين ؛ لانهما يعبر بهما عن « فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الاغراض والمقاصد ، وراموا أن يعلموهم ما فى نفوسهم ، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم »[4] .

والفصاحة والبلاغة والبراعة والبيان تأتى مترادفة عنده ، ومعنى ذلك

---

(١) سر الفصاحة ص ٦٠ .
(٢) سر الفصاحة ص ٦٠ .
(٣) سر الفصاحة ص ٦١ـ٦٢ .
(٤) دلائل الاعجاز ص ٣٥ .

أن الحدود بينها لم تتضح ، وان هذه المصطلحات لم تستقل وتأخذ معناها الدقيق .

ولم تأخذ لفظة « البلاغة » دلالتها المعروفة عند فخر الدين الرازى (–٦٠٦هـ) ، وهيعنده : « بلوغ الرجل بعبارته كنه ما فى قلبه مع الاحتراز عن الايجاز المخل والاطالة المملة »[١] ، ولكنه ربط الفصاحة والبلاغة بالمعنى ، ونحا منحى عبدالقاهر فى فهمها .

وقال ابن الاثير (–٦٣٧هـ) ان الكلام يسمى بليغا لانه بلغ الاوصاف اللفظية والمعنوية ، والبلاغة شاملة للالفاظ والمعانى ، وهى أخص من الفصاحة كالانسان من الحيوان ، وليس كل حيوان انسانا ، وكذلك يقال : « كل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغا » . وفرق بينها وبين الفصاحة من وجه آخر غير الخاص والعام ، وهى انها لا تكون الا فى اللفظ والمعنى بشرط التركيب ، فان اللفظة المفردة لا تنعت بالبلاغة وتنعت بالفصاحة اذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحسن ، وأما وصف البلاغة فلا يوجد فيها لخلوها من المعنى المفيد الذي ينتظم كلاما[٢] .

وحينما قسم السكاكى (–٦٢٦هـ) البلاغة ووضح معالمها فى كتابه « مفتاح العلوم » عرفها تعريفا دقيقا وقال : « هى بلوغ المتكلم فى تأدية المعانى حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها ، وايراد التشبيه والمجاز والكناية على وجهها »[٣] .

وبهذا التعريف أدخل مباحث علم المعانى وعلم البيان وأخرج مباحث البديع ؛ لانه وجوه يؤتى بها لتحسين الكلام ، وهى ليست من مرجعى البلاغة .

وللبلاغة طرفان : أعلى وأسفل متباينان تباينا لا يتراءى لاحد ناراهما وبينهما مراتب متفاوتة تكاد تفوت الحصر ، فمن الاسفل تبتدىء البلاغة

---

(١) نهاية الايجاز ص ٩ .
(٢) المثل السائر ج١ ص ٦٩–٧٠ .
(٣) مفتاح العلوم ص ١٩٦ .

وهو القدر الذى اذا نقص منه شيء التحق ذلك الكلام بأصوات الحيوانات، ثم تأخذ فى التزايد متصاعدة الى أن تبلغ حد الاعجاز ، وهو الطرف الاعلى وما يقرب منه .

ولم يعرف الفصاحة واكتفى بتقسيمها الى قسمين : قسم راجع الى المعنى وآخر الى اللفظ ، ولم يجعلها لازمة للبلاغة التى حصر مرجعيها فى المعانى والبيان ، وأشار القزوينى الى ذلك قائلا : « وجعل الفصاحة غير لازمة للبلاغة ، وحصر مرجع البلاغة فى الفنين ، ولم يجعل الفصاحة مرجعا لشىء منهما »[1] . وقال التفتازاني : « لم يجعل البلاغة مستلزمة للفصاحة ، وحصر مرجعها فى المعاني والبيان دون اللغة والصرف والنحو »[2] . ورأى أن مرجعها الى هذه العلوم جميعا لا الى مجرد المعانى والبيان .

ولكن السكاكى ـ مع ذلك كله ـ رأى ان البلاغة بمرجعيها ، والفصاحة بنوعيها « مما يكسو الكلام حلة التزيين ويرقيه أعلى درجات التحسين »[3] ولذلك نراه حينما حلل بعض الآيات القرآنية اتخذ من مرجعى البلاغة ومن الفصاحة مقياسا لاظهار ما فيها من صور بيانية ، ومن روعة وتأثير فى النفوس .

وكان الخطيب القزوينى (ـ٧٣٩هـ) آخر من وقف عند البلاغة من المتأخرين وميز بين بلاغة الكلام وبلاغة المتكلم فقال عن الاولى : « واما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته » ومقتضى الحال مختلف ومقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ومقام الاطلاق يباين مقام التقييد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ، ومقام الذكر يباين مقام الحذف ، ومقام القصر يباين مقام خلافه ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، ومقام الايجاز يباين مقام الاطناب والمساواة ، وكذا خطاب الذكى يباين خطابَ الغبى ، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام . وتطبيق الكلام على

---

(١) الايضاح ص ٢٤٠ .
(٢) المطول ص ٣ .
(٣) مفتاح العلوم ص ٢٠٠ .

مقتضى الحال هو الذى يسميه عبدالقاهر النظم[1] .

وقال عن الثانية : « وأما بلاغة المتكلم فهى ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ » .[2]

وقرر أن كل بليغ ـ كلاما كان أم متكلما ـ فصيح ، وليس كل فصيح بليغا ، وأن البلاغة فى الكلام مرجعها الى الاحتراز عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد ، والى تمييز الكلام الفصيح من غيره .

وقسم البلاغة الى ثلاثة أقسام ، فكان ما يحترز به عن الخطـأ علم المعانى ، وما يحترز به عن التعقيد المعنوى علم البيان ، وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته علم البديع .

ولم يخرج البلاغيون المتأخرون عن هذا التعريف وذلك التقسيم ، وأصبح مصطلح « البلاغة » يضم الفصاحة وعلم المعانى وعلم البيـان وعلم البديع .

وحينما أطل فجر النهضة الحديثة حاول العرب التجديد فى الدراسات الادبية ، وكان للبلاغة نصيب منه . ومن أشهر الذين عنوا بذلك المرحوم امين الخولى الذى أطلق على البلاغة « فن القول » وسماه غيره « فن الكتابة » أو « فن التأليف الادبى » أو « فن الانشاء » أو « علم الاساليب » أو « فن الانواع الأدبية » . وحجتهم ان مصطلح « البلاغة » قد رث من كثرة مـا تداولته الاجيال وأصبح مقترنا بالوان الادب القاتمة التى خلفتها العهـود المظلمة .

ولو عدنا الى المصطلحات الجديدة التى حاول الدارسون أن يربطوا البلاغة بها ويقضوا على المصطلح القديم لرأيناهم غير موفقين فيما ذهبـوا اليه ؛ لان مصطلحاتهم لا تحمل المعانى الكثيرة التى تحملها لفظة « البلاغة » القديمة ، فلا « فن القول » ولا « علم الاساليب » ولا « فن الانشاء » تغنى

---

(1) ينظر الايضاح ص ٩ والتلخيص ص ٣٣ .
(2) الايضـاح ص ١١ .

عن هذا المصطلح أو تضم كل مباحثه وأقسامه ؟ لان لكل مصطلح منها دلالته في لغته التي استعمل فيها ، وان بعضها فقد محتواه بعد ترجمته وأصبح يضيق بالبلاغة العربية ذات الارث العظيم •

وقد آثر بعضهم مصطلح « البلاغة » على هذه المصطلحات وقال الاستاذ عدنان بن ذريل : « لقد وسعت مجالات البحث البلاغي الحديث الى حدود أرحب أفقا ، وسعت من حدود اللفظة والجملة الى المجالات الرحبة التي للنوع الادبي الواحد والاساليب المتنوعة في القول ، وصارت تشمل ما يكفل تبين ابداع الاديب أو جمال أدبه • لنلاحظ أخيرا ان البلاغة كمصطلح فني أدبي حديث تشمل الاسلوب وعلمه ، الا انها الى جانب ذلك تتضمن الطاقة الادبية أو الملكة أو المقدرة على التعبير عند الاديب ، كما انها تقصدها ، وبذلك هي تتميز عن مصطلح اسلوب أو علم اسلوب • وبالفعل اذا نحن قارنا بين مصطلحي « بلاغة » و « علم الاسلوب » وجدنا ان مصطلح « بلاغة » يضعنا أمام ملكة التعبير الادبي ثم التعبير الادبي ، كما يضعنا أمام اصول الادب وجماله ، بينما مصطلح « علم الاسلوب » أو « علم الاساليب » لا يتعدى ايحاؤه دراسة التعبير الادبي وأساليبه ، ومصطلح « أسلوب » مصطلح حديث يقصد طريقة في التعبير خاصة بالاديب •

يضاف الى ذلك ان مصطلح « بلاغة » يشمل أيضا بحث الذوق والذي ظل الاقدمون ينوهون به ، وهو أساسي أيضا في بحث المحدثين ، الامر الذي يقربنا من المجالات المختلفة التي للدراسة الادبية للتعبير الادبي ومطابقته مقتضيات أحوال المخاطبين والجمهور » •[1]

وهذا ما آمنا به بعد دراسة طويلة للبلاغة ومصطلحاتها ، وبذلك يبقى هذا المصطلح محتفظا بمعناه البلاغي القديم ومحتواه الادبي الجديد ، جامعا كثيرا من المباحث التي لا يمكن أن تضمها المصطلحات الجديدة ، كالفصاحة أو دراسة الالفاظ ، وعلم المعاني وعلم البيان وعلم البديع ، وهي من أقدم

---

(١) مجلة الاديب البيروتية (السنة ٢٩ ـ ايلول ١٩٧٠) ج٩ ص ٤ •

الفنون التى عنى بها البلاغيون وأولوها أهمية عظيمة ، وكانت دراساتهم المفصلة ونظراتهم العميقة دليلا على تلك العناية • أما التعبير الادبى والملكة على انشائه أو نقده فقد عبر عنها الخطيب القزوينى تعبيرا دقيقا حينما قال : « وأما بلاغة الكلام فهى مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته » ••••• « وأما بلاغة المتكلم فهى مقدرة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ » • وفى هاتين العبارتين اشارة الى الملكة الادبية والتعبير الادبى •

وأما الذوق فقد كان من القضايا التى اهتم بها البلاغيون وأقاموا عليها أحكامهم ، ولا يخلو كتاب بلاغى أو نقدى من الرجوع اليه أو التحدث عنه أو عقد فصول ضافية فى أهميته ، ومن ذلك الفصل الذى عقده عبدالقاهر الجرجانى فى خاتمة كتابه « دلائل الاعجاز » وقرر فيه ان العمدة فى ادراك البلاغة الذوق والاحساس الروحانى ، وانه لا بد من تهذيبه بالوقوف على مواطن الجمال فى الادب ، ولن يفهم الادب ويهتز له من عدم الذوق وفقد الاحساس والشعور مهما أوتى من علم بالبلاغة وقواعدها ، ومهما كد ذهنه وأتعب عقله • يقول مصورا ذلك أبدع تصوير : « والبلاء والداء العياء أن هذا الاحساس قليل فى الناس حتى انه ليكون أن يقع للرجل من هذه الفروق والوجوه فى شعر يقوله أو رسالة يكتبها الموقع الحسن ثم لا يعلم انه قد احسن • فأما الجهل بمكان الاساءة فلا تعدمه فلست تملك اذن من أمرك شيئا حتى تظفر بمن له طبع اذا قدحته ورى ، وقلب اذا أريته رأى ، فأما وصاحبك من لا يرى ما تريه ولا يهتدى للذى تهديه ، فأنت رام معه فى غير مرمى ، مُعَنٍ نفسك فى غير جدوى • وكما لا تقيم الشعر فى نفس من لاذوق له ، كذلك لا تفهم هذا الشأن من لم يؤت الآلة التي بها يفهم • الا أنه انما يكون البلاء اذا ظن العادم لها أنه أوتيها وانه ممن يكمل للحكم ويصح منه القضاء ، نجعل يقول القول لو علم غيه لاستحيى منه ، فأما الذى يحس بالنقص من نفسه ويعلم انه قد علم علما أُوتيه من سواه ، فأنت منه فى راحة وهو رجل عاقل قد حماه عقله أن يعدو طوره وأن يتكلف

ما ليس بأهل له » .[1]

لقد ضمت كتب البلاغة البحث فى الفصاحة والمعانى والبيان والبديع والسرقات والذوق الادبى والاحساس الروحانى والعاطفة وليس هناك ما يمنع أن تدرس الكتب الحديثة هذه الفنون وتعنى بها كالقدماء ، ويظل مصطلح « البلاغة » جامعا لها كما كان ؛ لان أى مصطلح من المصطلحات الجديدة التي أسرف بعضهم فى اشاعتها والتعصب لها لا يجمعها ويوحد بينها . وبذلك نحتفظ بالمصطلح القديم وما ينضوى تحته من فنون قديمة وحديثة .

(١) دلائل الاعجاز ص ٤٢١-٤٢٢ .

المعـــاني

علم المعانى من المصطلحات التى أطلقها البلاغيون على مباحث بلاغيـة تتصل بالجملة وما يحدث فيها من تقديم وتأخير ، أو حـذف وذكر ، أو تعريف وتنكير ، أو قصر ، أو فصل ووصل •

وليس فى كتب البلاغة الاولى اشارة الى هذا العلم ولا نعرف أحـدا استعمله وسمى به قسما من موضوعات البلاغة قبل السكاكى (ـ٦٢٦هـ) • وكان الاوائل يستعملون مصطلح المعانى فى دراساتهم القرآنية والشعريـة فيقولون « معانى القرآن » أو « معانى الشعر » ، ويتخذون من ذلك أسماءاً لكتبهم • وليس فى هذه المصطلحات ما يتصل بالبلاغة أو باحد علومها •

ولعل عبارة « معانى النحو » التى وردت فى المناظرة التى جرت بين الحسن بن عبد المرزبانى المعروف بأبى سعيد السيرافى (ـ٣٦٨هـ) وأبى بشر متى بن يونس فى مجلس الوزير أبى الفتح بن جعفر بن الفرات كانت من اقدم الاشارات الى هذا المصطلح بمعناه القريب من البلاغة • قال السيرافى: « معانى النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته ، وبين وضع الحروف فى مواضعها المقتضية لها ، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير ، وتوخـى الصواب فى ذلك وتجنب الخطأ من ذلك ، وان زاغ شىء عن هذا النعت فانه لا يخلو من أن يكون سائغا بالاستعمال النادر والتأويل البعيد أو مردودا لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم » •[1]

وعقد احمد بن فارس (ـ٣٩٥هـ) فى كتابه « الصاحبى » بابا سماه « معانى الكلام »[2] وهى عند أهل العلم عشرة : خبر واستخبار ، وأمـر

(١) الامتاع والمؤانسة ج١ ص ١٢١ ، ومعجم الادباء ج٣ ص ١١٧ •
(٢) الصاحبى ص ١٧٩ وما بعدها •

ونهى ، ودعاء وطلب ، وعرض وتحضيض ، وتمن وتعجب . وبذلك يكون ابن فارس أول من أطلق مصطلح « معانى الكلام » على مباحث الخبر والانشاء التى اصبحت فيما بعد أهم فصول علم المعانى .

وكان لنظرية النظم أثر كبير فى ظهور هذا اللون من الدراسات ، وقد وضحت معالم هذه النظرية وبلغت نضجها عند عبدالقاهر الجرجانى الذى أطال الكلام عليها ، وسمى موضوعات التقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والفصل والوصل ، والقصر ، والتعريف والتنكير ، معانى النحو أو النظم . يقول : « واعلم ان ليس النظم الا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التى نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التى رسمت لك فلا تخل بشىء منها . وذلك انا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم فى نظمه غير أن ينظر فى وجوه كل باب وفروقه ، فينظر فى الخبر الى الوجوه التى تراها فى قولك « زيد منطلق » و « زيد ينطلق » و « ينطلق زيد » و « منطلق زيد » و « زيد المنطلق » و « المنطلق زيد » و « زيد هو المنطلق » و « زيد هو منطلق » . وفى الشرط والجزاء الى الوجوه التى تراها فى قولك « إنْ تخرج أخرج » و « ان خرجتَ خرجتُ » و « ان تخرج فأنا خارج » و « أنا خارج ان خرجتَ » و « أنا ان خرجت خارج » . وفى الحال الى الوجوه التى تراها فى قولك : « جاءنى زيد مسرعا » و « جاءنى يسرع » و « جاءنى وهو مسرع » أو « هو يسرع » و « جاءنى قد أسرع » و « جاءنى وقد اسرع » فيعرف لكل من ذلك موضعه ويجىء به حيث ينبغى له .

وينظر فى الحروف التى تشترك فى معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية فى ذلك المعنى فيضع كلا من ذلك فى خاص معناه ، نحو أن يجىء بـ « ما » فى نفى الحال وبـ « لا » اذا أراد نفى الاستقبال وبـ « ان » فيما يترجح بين أن يكون وأن لا يكون وبـ « اذا » فيما علم انه كائن .

وينظر فى الجمل التى تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع

الوصل ، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء وموضع الفاء من موضع « ثم » وموضع « أو » من موضع « أم » وموضع « لكن » من موضع « بل » • ويتصرف في التعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير في الكلام كله ، وفي الحذف والتكرار والاضمار والاظهار ، فيضع كلا من ذلك مكانه ، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له •

هذا هو السبيل ، فلست بواجد شيئا يرجع صوابه ان كان صوابا ، وخطؤه ان كان خطأ الى النظم ويدخل تحت هذا الاسم الا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة فازيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له • فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده أو وصف بمزية وفضل فيه ، الا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل الى معاني النحو وأحكامه ، ووجدته يدخل في أصل من أصوله ، ويتصل بباب من أبوابه » •[1]

فمعاني النحو أو النظم تشمل الخبر وأركان الجملة وما يتعلق بالمسند والمسند اليه من شرط وحال ، وتشمل الفصل والوصل ومعرفة مواضعهما ومعاني الواو والفاء وثم وبل ولكن وغيرها من أدوات العطف ، وتشمل التعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير ، والحذف والتكرار ، والاضمار والاظهار •

لقد وضح عبدالقاهر أصول « علم المعاني » في كتابه « دلائل الاعجاز» وسماه « النظم » أو « معاني النحو » • وليست معاني النحو الا علم المعاني الذي عرفه السكاكي بقوله : « هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره » •[2]

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٦٤-٦٥ •

(٢) مفتاح العلوم ص ٧٧ •

وكان السكاكى (–٦٢٦هـ)أول من أطلق مصطلح علم المعانى على الموضوعات التى سماها عبدالقاهر النظم أو معانى النحو • ومع أنه لميطلق ذلك على بعض مباحث البلاغة أحد غيره الا ان الباحث ليحار حينما يجد مصطلحى « المعانى » و « البيان » قبله • فالزمخشرى (–٥٣٨هـ) يشير اليهما فى الكشاف ويقول وهو يتحدث عن التفسير : « ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع فى علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان »[١] • وكلامه غير واضح ؛ لانه كثيرا ما يردد هـذين المصطلحين ، وكثيرا ما يطلق مصطلح « البيان » على البلاغة كلها ، يضاف الى ذلك انه لم يضع حدا بين موضوعات المعانى والبيان • ولعل سبب ذلك انه لم يكن يبحث فى البلاغة حينما ألف « الكشاف » وانما كان يفسـر القرآن الكريم ويوضح ما فيه من معان رفيعة ومن روعة وجمال وتأثير فى النفوس ، أما مسائل البلاغة فلم يذكرها الا لاظهار روعته واعجازه • ونراه أحيانا يسمى البلاغة « بديعا » ، فهو فى تفسير قوله تعالى : « اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين»[٢] ، يقول: « هذا من الصنعة البديعية التى تبلغ بالمجاز الذروة العليا ، وهى أن تساق كلمة مساق مجاز »[٣] • •

ويخالف أحيانا ما تعارف عليه البلاغيون فيجعل الالتفات من البيان ، ويقول فى العدول عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب : « قلت : هذا يسمى الالتفات فى علم البيان »[٤] •

وذكر الدكتور شوقى ضيف ان الزمخشرى أول من ميز بين المصطلحين وقسم البلاغة الى معان وبيان[٥] ، ولكن ماذكرناه وما يضمه

---

(١) الكشاف ج١ ص (ك) •
(٢) سورة البقرة ، الآية ١٦ •
(٣) الكشاف ج١ ص ٥٣ •
(٤) الكشاف ج١ ص ١١ •
(٥) البلاغة تطور وتاريخ ص ٢٢١ وما بعدها وص ٢٧٠ •

تفسير الكشاف لا يؤيد هذا القول .

وذكر فخر الدين الرازي (-٦٠٦هـ) مصطلح « علم المعاني » و « علم البيان » ولكنه لم يعرفهما أو يوضحهما ولم يحدد موضوعاتهما . يقول وهو يتحدث عن الخبر : « ولكن الخبر هو الذي يتصور بالصور الكثيرة ، وتظهر فيه الدقائق العجيبة والاسرار الغريبة من علم المعاني والبيان »[١] .

وعبارة « من علم المعاني والبيان » غامضة لا يفهم منها الا معنى عام وهو البلاغة ، أما معانيهما التي حصرها السكاكي فلم يشر اليها ، والرازي في ذلك يتابع الزمخشري الذي ذكر المصطلحين من غير أن يعرفهما أو يفصل بينهما .

ويكرر السكاكي نفسه بعض العبارات مثل « صناعة علم المعاني » و « علماء علم المعاني » و « أذهان الراضة من علماء المعاني » و « أئمة علم المعاني »[٢] ، ولكنه لم يحدد معانيها أو يذكر علماء علم المعاني وأئمته . ولم نعثر في تأريخ البلاغة على علماء اختصوا بهذا العلم وبحثوا فيه كما فعل السكاكي في مفتاحه .

وما دمنا لم نستطع أن نتبين مفهوم المعاني قبل السكاكي مع ما جاء في « الكشاف » و « نهاية الايجاز » نقرر انه أول من قسم البلاغة الى معان وبيان ومحسنات ، وحدد موضوعاتها وأرسى قواعدها ، وأنه أول من أطلق على الموضوعات المتعلقة بالنظم مصطلح « علم المعاني » وعلى الموضوعات التي تبحث في الصورة الادبية ـ التشبيه والمجاز والكناية ـ مصطلح « علم البيان » ، وانه أول من سمى غير هذه البحوث محسنات أو « وجوها مخصوصة يصار اليها لقصد تحسين الكلام » وقسمها الى ما يختص بالمعنى وما يتعلق باللفظ . ولم يسمها بديعا ، وكان بدرالدين بن مالك (-٦٨٦هـ) صاحب « المصباح » هو الذي أطلق عليها هذا المصطلح وتابعه القزويني والمتأخرون .

---

(١) نهاية الايجاز ص ٣٦ .
(٢) مفتاح العلوم ص ٨١ ، ٩٥ ، ١١٩ ، ١٢١ .

وكان للسكاكي منهج في بحث موضوعات « علم المعاني » اختلف عن كل ما ألفناه في كتب البلاغة الاولى ، وقد قرر – كما قرر غيره – ان كلام العرب قسمان : الخبر والطلب ، ولذلك قسم المعاني الى قانونين :

الاول : يتعلق بالخبر

والثاني : يتصل بالطلب

وقسم القانون الاول الى أربعة فنون :

الاول : في تفصيل اعتبارات الاسناد الخبري ، تكلم فيه على أنـــواع الخبر وأغراضه ومؤكداته وخروجه عن مقتضى الظاهر .

الثاني : في تفصيل اعتبارات المسند اليه ، تكلم فيه على حذفه وذكره، وتعريفه وتنكيره واضماره ، وكونه معرفة سواء كان موصولا أم اسم اشارة أم معرفا بالالف واللام أم بالاضافة . وتحدث عن نعت المعرف ، وتأكيـد المسند اليه وبيانه وتفسيره وبدله والحالة التي تقتضي العطف والفصـل ، وتنكيره وتقديمه على المسند ، وتأخيره ، وقصره ، وخروجه على مقتضى الظاهر ، والالتفات .

الثالث : في تفصيل اعتبارات المسند ، تكلم فيه على حذفه وذكـره ، وافراده ، وكونه فعلا ، وتقييده وترك تقييده ، وكونه منكرا ، ثم تحدث عن تخصيصه وتركه ، وكونه اسما معرفا ، وكونه جملة فعلية واسمية وظرفية، وعن تأخيره وتقديمه . وعقد في هذا الفن فصلا تحدث فيه عن الفعل ،وذكر تركه واثباته ، وترك مفعوله واثبـاته ، واضمـار الفـاعل واظهاره ، وتحدث عن اعتبار التقديم والتأخير ، مع الفعل ، والحالات المقتضية لتقييـد الفعل بالشرط .

الرابع : في تفصيل اعتبارات الفصل والوصل ، والايجاز والاطناب ، والقصر .

وقسم القانون الثاني الى خمسة فصول هي : التمني ، والاستفهام ، والامر ، والنهي ، والنداء .

وبعد أن أكمل بحث الخبر والطلب تحدث عن استعمال الخبر موضع

الطلب ، واستعمال الطلب موضع الخبر ، وذكر أسلوب الحكيم في خاتمة البحث [1].

لقد بحث السكاكي « علم المعاني » بهذا المنهج وقسمه هذا التقسيم ، وبوبه هذا التبويب الذى تتضح فيه النزعة المنطقية والنظرة العلمية . ويلاحظ أنه قدم البحث فى الخبر مع ان كثيرا من الموضوعات التي تحدث عنها فيه لا تخص الخبر وحده وانما هى مشتركة بينه وبين الطلب . وقد علل التفتازاني (ـ٧٩٢ هـ) ذلك بقوله : « وانما ابتدأ بأبحاث الخبر لكونه أعظم شأنا وأعم فائدة ؛ لانه هو الذى يتصور بالصور الكثيرة ، وفيه تقع الصياغات العجيبة ، وبه تقع غالبا المزايا التى بها التفاضل ، ولكونه أصلا فى الكلام ؛ لان الانشاء انما يحصل منه باشتقاق كالامر والنهى ، أو نقل كبئس ونعم وبعت واشتريت ، أو زيادة أداة كالاستفهام والتمنى وما أشبه ذلك .

ثم قدم بحث احوال الاسناد على أحوال المسند اليه والمسند ، مع ان النسبة متأخرة عن الطرفين ؛ لان علم المعانى انما يبحث عن أحوال اللفظ الموصوف بكونه مسندا اليه ومسندا . وهذا الوصف انما يتحقق بعد تحقيق الاسناد ؛ لانه ما لم يسند أحد الطرفين الى الآخر لم يصر أحدهما مسندا اليه والآخر مسندا . والمتقدم على النسبة انما هو ذات الطرفين ولا بحث لنا عنها » [2].

ومهما حاول أنصار هذا المنهج أن يوجهوه فان البلاغة التي نقيس بها الادب ونحكم عليه لا يمكن أن يعلل منهج بحثها هذا التعليل ، وأن يصطنع لها اصطناعا يبعدها عن روحها الادبية .

ولكن هل نجح السكاكى فى هذا المنهج ؟ وهل استطاع أن يحصر فنون علم المعانى حصرا دقيقا ؟

الواقع انه لم ينجح فى هذا التقسيم الذى بناه على المنطق ، فحصر

---

(١) ينظر كتابنا : البلاغة عند السكاكي ص ١٤٠ وما بعدها .

(٢) المطول ص ٤٣ .

به موضوعات المعانى حصرا مزقها تمزيقا أفقدها كل روح وباعد بينها وبين ما يتطلبه الفن الادبى الذى ينبغى أن يعتمد أول ما يعتمد على الـــذوق الرفيع •

ولتوضيح ذلك نقول ان السكاكى قسم مباحث المعانى حسب ركنى الجملة ـ المسند اليه والمسند ـ وعلى هذا الاساس ذكر التقديم ـ مثلا ـ فى المسند اليه مرة وفى المسند تارة اخرى • وفعل مثل هذا بالموضوعات الاخرى كالتأخير ، والحذف ، والذكر ، والتعريف والتنكير • وكان من الدقة أن يبحث كل موضوع بحثا مستقلا فيتكلم على التقديم والتأخير فى فصل ، والذكر والحذف فى ثان والتعريف والتنكير فى ثالث ، وبذلك تجمع أوصال الموضوع الواحد فى بحث يستوفى أجزاءه ويجمع شتاته • أما أن يوزع أقسام الموضوع الواحد هذا التوزيع ، ويذكر عنه فى كل باب تنفـــا يسيرة لا تجدى نفعا ، فمما لا يمكن الاخذ به والتعويل عليه • وبالمقارنة العابرة بين ما كتبه السكاكى وما كتبه عبدالقاهر أو ابن الاثير يتضح مدى افساده هذه المباحث وجوره عليها • فبعد أن كنا نقرأ فى « دلائل الاعجاز » أو « المثل السائر » موضوعات فيها عرض وتحليل ، وجمع لاطراف الموضوع الواحد جمعا يخرج الدارس منه بفكرة واضحة وفائدة كبيرة ـ بعد هـــذا كله نقرأ فى « مفتاح العلوم » موضوعات تناثرت أطرافها فى عدة أبواب لا يخرج الدارس منها إلا بصورة حائلة وقواعد جامدة ، وأمثلة مبتسرة ، وقد يلجأ لكى يكون فكرة صحيحة الى أن يلم شتات الموضوع الواحد ويضـــم بعضها الى بعض ، وفى هذا اضاعة للجهد وافساد للبلاغة والذوق •

وكانت ثمرة ذلك أن بعثر السكاكى الموضوعات ، وأفقدها رونقها ، وأصبحت لا تجدى نفعا الا بالرجوع الى عدة فصول لجمع شتاتها وتوحيد أجزائها •

أما بحث خروج الكلام عن مقتضى الظاهر كوضع المضمر موضـــع المظهر ، ووضع المظهر موضع المضمر ، والالتفات فى المسند اليه فليس دقيقا ،

لان هذه الفنون لاتخصه وحده وانما تدخل المسند أيضا • وقد أشار السكاكي الى ذلك بقوله : « واعلم أن هذا النوع ، أعني نقل الكلام عن الحكاية الى الغيبة لا يختص بالمسند اليه »[1] •

وكان ينبغى أن يضع لكل لون من هذه الفنون بحثا يفصل القول فيه تفصيلا •

وتكلم على استعمال المضارع مكان الماضى فى الحالات المقتضية لتقييد الفعل بالشرط مع ان الاخبار عن الفعل الماضى بالفعل المضارع أو بالمستقبل نوع من الالتفات ، كما صرح به البلاغيون •

وعقد فصلا للفعل وما يتعلق به من ترك واثبات ، واظهار واضمار ، وتقديم وتأخير ، مع ان الفعل مسند ، وكان ينبغى أن يبحثه فى باب المسند ويذكر انه يأتى فعلا واسما وجملة •

ولكننا لا بد أن نحمد للسكاكى انتباهه الى اشتراك كثير من المباحث التي ذكرها فى المسند والمسند اليه ، فقد أشار وهو يتحدث عن الحالة المقتضية لقصر المسند اليه على المسند ، الى أن القصر لايختص بالمسند اليه وانما يدخل المسند أيضا ، ويجرى بين الفاعل والمفعول ، وبين المفعولين ، وبين الحال وذى الحال ، وبين كل طرفين • يقول : « واعلم أن القصر كما يكون للمسند اليه على المسند يكون للمسند على المسند اليه ، ثم هو ليس مختصا بهذا البين ، بل له شيوع وله تفريعات ، فالاولى أن نفرد للكلام فى ذلك فصلا ونؤخره الى تمام التعرف لما سواه فى قانوننا هذا ليكون الى الوقوف عليه أقرب »[2] •

وفعل مثل ذلك فى بحث الايجاز والاطناب ، والفصل والوصل • هذا ما يتعلق باتخاذ ركنى الجملة أساسا فى تقسيم مباحث علم المعانى ، أما ما يتصل بالموضوعات نفسها فقد ذكر التقديم والتأخير ، والحذف والذكر ،

---

(١) مفتاح العلوم ص ٩٥ •

(٢) مفتاح العلوم ص ٩٤ •

والفصل والوصل ، والايجاز والاطناب ، والتعريف والتنكير ، والقصر ، في القانون الاول أي في باب الخبر ، وليس في هذا دقة ؛ لان هذه الموضوعات تدخل الطلب كما تدخل الخبر ، وقد أشار عبدالقاهر الى ذلك بقوله : « انه لا يجوز أن يكون لنظم الكلام وترتيب أجزائه في الاستفهام معنى لا يكون له ذلك المعنى في الخبر ، ذلك ان الاستفهام استخبار ، والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك • فاذا كان كذلك كان محالا ان يفترق الحال بين تقديم الاسم وتأخيره في الاستفهام فيكون المعنى اذا قلت : « أزيد قام ؟ » غيره اذا قلت : « أقام زيد ؟ » ثم لايكون هذا الافتراق في الخبر • ويكون قولك : « زيد قام » و « قام زيد » سواء ذاك ؛ لانه يؤدي الى أن تستعمله أمرا لا سبيل فيه الى جواب، وأن تستثبته المعنى على وجه ليس عنده عبارة يثبته لك بها على ذلك الوجه » •[1]

وبقوله : « واذ قد عرفت الحكم في الابتداء بالنكرة في الاستفهام فابن الخبر عليه » •[2]

ولم يأخذ السكاكي برأي عبدالقاهر مع أنه اعتمد على كتابيه وجردهما من النزعة الادبية وأحالهما هياكل بتقسيماته المنطقية •

والعجيب أن القزويني والتفتازاني وغيرهما من الشراح تابعوا السكاكي في هذا التقسيم مع أنهم ذكروا ان الموضوعات التي بحثت في الخبر تدخل الطلب أيضا • يقول القزويني بعد أن ذكر أحوال المسند : « كثير مما ذكر في هذا الباب والذي قبله غير مختص بهما كالذكر والحذف وغيرهما • والفطن اذا اتقن اعتبار ذلك فيهما لا يخفى عليه اعتباره في غيرهما »[3] • واعاد هذا القول في كتابه « الايضاح » بعد أن ذكر أحوال الاسناد والمسند اليه والمسند وأحوال متعلقات الفعل والقصر ، وقال : « ما ذكرناه في هذه

---

(١) دلائل الاعجاز ص ١٠٨ •
(٢) دلائل الاعجاز ص ١٠٩ •
(٣) التلخيص ص ١٢٥ •

الابواب الخمسة السابقة ليس كله مختصا بالخبر ، بل كثير منه حكم الانشاء فيه حكم الخبر ، يظهر ذلك بأدنى تأمل »[1] • وقال التفتازاني : « ان الاسناد الانشائي أيضا ، أما مؤكد أو مجرد عن التأكيد ، وكذا المسند اليه اما مذكور أو محذوف ، مقدم أو مؤخر ، معرف أو منكر ، الى غير ذلك • وكذلك المسند اسم أو فعل ، مطلق أو مقيد بمفعول أو بشرط أو بغيره • والمتعلقات أما متقدمة أو متأخرة ، مذكورة أو محذوفة ، واسناده وتعلقه أيضا اما بقصر أو بغير قصر • والاعتبارات المناسبة فى ذلك مثل ما مر فى الخبر ولا يخفى عليك اعتباره بعد الاحاطة بما سبق »[2] •

ولكن البلاغيين سحروا بمنهج السكاكي وساروا عليه من غير أن يحاولوا اصلاحه الا ما صدر عنهم من ملاحظات لا تبعد البلاغة عن جوهره كثيرا •

ونرى ــ اذا ما أردنا أن نعيد ترتيب مباحث علم المعانى فى كتاب « مفتاح العلوم » ــ أن يبحث الخبر والانشاء فى باب مستقل وتذكر أنواعهما وأساليبهما ، ثم تبحث الجملة فى باب آخر يجمع أجزاءها ويكون للتقديم والتأخير فصل ، وللحذف والذكر فصل ثان ، وللتنكير والتعريف فصل ثالث ، وللقصر وأنواعه وطرقه فصل رابع ، ولتقييد المسند والمسند اليه فصل خامس ، ولا بد من بحث الفصل والوصل ، والايجاز والاطناب فى فصول مستقلة • وبهذه الطريقة نجمع ما فرقه السكاكى ونبعث الحياة فى هذا الفن ليكون صالحا فى الدراسات الادبية •

وليس بغريب أن ندعو الى هذا المنهج فقد بحث المتقدمون البلاغة بما هو قريب منه ، وكان لاعلامهم كأبى هلال وابن رشيق وابن سنان وعبد القاهر وابن الاثير مناهج سليمة وبحوث طريفة ذات نفع عظيم وأثر كثير ؛ لانهم لم يبعثروا الموضوعات فى فصول كثيرة وانما جمعوها جمعا فيه فائدة

---

(١) الايضاح ص ١٠٩ •

(٢) المطول ص ٢٤٦ •

كبيرة . ومن هنا جاءت كتبهم آية فى الابداع ، وكانت بحوثهم غاية فى الوضوح والجلاء .

وكان الخطيب القزوينى (-٧٣٩هـ) أوضح منهجا من السكاكى ، والمعانى عنده « علم يعرف به أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق مقتضى الحال »[١] . وقد رفض تعريف السكاكى وهو : « تتبع خواص تراكيب الكلام فى الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ فى تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره »[٢] ؛ لان التتبع ليس بعلم ولا صادق عليه فلا يصح تعريف شىء من العلوم به .

وحصر علم المعانى فى ثمانية أبواب :

الاول : أحوال الاسناد الخبرى .

الثانى : أحوال المسند اليه .

الثالث : أحوال المسند .

الرابع : أحوال متعلقات الفعل .

الخامس : القصر .

السادس : الانشاء

السابع : الفصل والوصل .

الثامن : الايجاز والاطناب[٣] .

ووجه الحصر أن الكلام اما خبر أو انشاء ؛ لانه اما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه أو لا يكون لها خارج ، الاول الخبر والثانى الانشاء . ثم الخبر لا بد له من اسناد ومسند اليه ومسند ، وأحوال هذه الثلاثة هى الابواب الثلاثة الاولى . ثم المسند قد يكون له متعلقات اذا كان فعلا أو متصلا به أو فى معناه كاسم الفاعل ونحوه ، وهذا هو الباب الرابع . ثم الاسناد والتعلق كل واحد منهما يكون اما بقصر أو بغير قصر ، وهذا هو

---

(١) الايضاح ص ١٢ .
(٢) مفتاح العلوم ص ٧٧ .
(٣) ينظر كتابنا : القزوينى وشروح التلخيص ص ٢٨٧ وما بعدها .

الباب الخامس • والانشاء هو الباب السادس • ثم الجملة اذا قرنت بأخرى فتكون الثانية اما معطوفة على الاولى أو غير معطوفة ، وهذا هو الباب السابع • ولفظ الكلام البليغ اما زائد على أصل المراد لفائدة أو غير زائد عليه ، وهذا هو الباب الثامن •

وهذا المنهج يختلف عن منهج السكاكى ، وهو أقرب الى الكمال ؛لان القزوينى ضم الموضوعات المتشابهة فى فصول مستقلة ، وكان فى بحثه ألصق بالبلاغة وروحها من صاحب « مفتاح العلوم » الذى مزقها كل ممزق •

وسيطر هذا المنهج على البلاغيين وظلت كتبهم تقسم علم المعانى هذا التقسيم ، ولم يخرج عنه معظم المتأخرين والمحدثين •

البيـــان

جاء فى لسان العرب : « البيان : ما يبين به الشىء من الدلالة وغيرها . وبان الشيء : اتضح فهو بين . واستبان الشيء : ظهر . والبيان : الفصاحة واللسن ، وكلام بين : فصيح . والبيان : الافصاح مع ذكاء ، والبـين من الرجال : الفصيح والسمح اللسان . الفصيـح : الظريف العالى الـكلام . وفلان أبين من فلان : أى أفصح منه وأوضح كلاما . ورجل بين : فصيح ، والجمع : أبيناء . البيان : اظهار المقصود بأبلغ لفظ ، وهو من حسن الفهم وذكاء القلب مع اللسن ، وأصله الكشف والظهور » .

وفى هـذا النص اشـارة الى المعنى اللغوى لكلمة « البيان » وهـو الظهور ، والى المعنى الذى يقرب من الاصطلاح البلاغيغير انه ليس واضحا، لان « البيان » لم يأخذ صورته الاخيرة الا فى القرن السابع للهجرة ،ولان المعاجم لا تعنى الا بدلالة الالفاظ الوضعية فى أغلب الاحيان .

وفى القرآن الكريم اشارات كثيرة الى « البيان » منها قوله تـعالى : « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين »[1] والبيان هنا الايضاح ، يقول الزمخشرى : « هذا بيان للناس : ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب، يعنى : حثهم على النظر فى سوء عواقب المكذبين قبلهم ، والاعتبار بما يعانون من آثار هلاكهم » .[2]

وقوله تعالى : « الرحمن . علّم القرآن . خلق الانسان . علّمـه البيان »[3] ، والبيان هنا المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير ، يقـول

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٣٨ .
(٢) الـكشاف ج١ ص ٣٢١ .
(٣) سورة الرحمن ، الآيات ١ـ٤ .

الزمخشرى : « ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان ، وهو المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير »[1] .

وفى الحديث النبوى الشريف : « ان من البيان لسحرا ، وان من الشعر لحكمة » ، والبيان فى هذا الحديث اظهار المقصود بأبلغ لفظ ، وهو من الفهم وذكاء القلب . وقيل : معناه ان الرجل يكون عليه الحق وهو أقوم بحجته من خصمه فيقلب الحق ببيانه الى نفسه ؛ لان معنى السحر قلب الشىء فى عين الانسان وليس بقلب الاعيان . ألا ترى أن البليغ يمدح انسانا حتى يصرف قلوب السامعين الى حبه ، ثم يذمه حتى يصرفها الى بغضه[2].

ومنه قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « البذاء والبيان شعبتان من النفاق » ، أراد أنهما خصلتان منشؤهما النفاق ، أما البذاء ـ وهو الفحش ـ فظاهر ، وأما البيان فانما أراد منه بالذم التعمق فى النطق والتفاصح واظهار التقدم فيه على الناس وكأنه نوع من العجب والكبر ، ولذلك قال فى رواية أخرى : « البذاء وبعض البيان » ؛ لانه ليس كل البيان مذموما[3] .

وظلت كلمة « البيان » تحمل هذه المعانى العامة حتى اذا جاء العصر العباسى دخلت الدراسات البلاغية واستعملت استعمالا ذا دلالة خاصة . ولم يبق معناها ثابتا عند علماء البلاغة على اختلاف ثقافاتهم وعصورهم وانما تطور بتطور بحوثها حتى استقرت على يدالسكاكي (ـ٦٢٦هـ) ومن سار على منهجه ، فكان لها دلالة اصطلاحية لا ينصرف الذهن حينما تذكر الا اليها .

وأول ما تصادفنا كلمة « البيان » عند الجاحظ ، فقد وردت فى آثاره وسمى أحدها « البيان والتبيين » جمع فيه كثيرا من الاقوال وتحدث عن البيان . ولعل تعريف جعفر بن يحيى (ـ١٨٧ هـ) الذى ذكره الجاحظ كان من أقدم مادون ، يقول : « وقال ثمامة : قلت لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ قال أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلى عن مغزاك ، وتخرجه عن الشركة ،

---

(١) الكشاف ج٤ ص ٣٥٣ .
(٢) النهاية فى غريب الحديث والاثر ج١ ص ١٧٤ .
(٣) النهاية ج١ ص ١٧٥ .

ولا تستعين عليه بالفكرة ، والذى لا بد له منه أن يكون سليما من التكلف ، بعيدا من الصنعة بريئا من التعقد ، غنيا عن التأويل •

وهذا هو تأويل قول الاصمعى : « البليغ من طَبَّق المفصل ، وأغناك عن المفسِّر »[1] •

والبيان عند الجاحظ واسع المعنى وهو الكشف والايضاح والفهم والافهام ، ويحتاج الى تمييز وسياسة ، وتمام الآلة ، واحكام الصنعة ،وسهولة المخرج ، وجهارة المنطق ، وتكميل الحروف ، واقامة الوزن • يقول : « البيان : اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع الى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أى جنس كان ذلك الدليل ؛ لان مدار الامر والغاية التى اليها يجرى القائل والسامع انما هو الفهم والافهام • فبأى شيء بلغت الافهام ، وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع »[2] •

وتحدث عن الدلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ وهى خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ، ثم الاشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التى تسمى نُصبة ، والنصبة هى الحال الدالة التى تقوم مقام تلك الاصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات ، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها وحلية مخالفة لحلية أختها ، وهي التي تكشف عن أعيان المعانى فى الجملة ثم عن حقائقها فى التفسير ، وعن أجناسها وأقدارها ، وعن خاصها وعامها ، وعن طبقاتها فى السار والضار ، وعما يكون منها لغوا بهرجا وساقطا مطرحا •

والدلالة باللفظ معروفة ، فأما الدلالة بالاشارة فباليد والرأس والعين والحاجب والمنكب اذا تباعد الشخصان وبالثوب وبالسيف ، وقد يتهدد رافع السيف والسوط فيكون ذلك زاجرا ومانعا رادعا ، ويكون وعيدا وتحذيرا •

---

(١) البيان والتبيين ج١ ص ١٠٦ ، وينظر عيون الاخبار ج٢ ص ١٧٣ ، والعمدة ج١ ص ٢٤٩ •

(٢) البيان ج١ ص ٧٦ •

وأما القول فى العقد وهو الحساب دون اللفظ والخط ، فالدليل على فضيلته وعظم قدر الانتفاع به قول الله ـ عزوجل ـ : « فالق الاصباح ، وجعل الليل سكنا ، والشمسَ والقمرَ حسبانا ، ذلك تقدير العزيز العليم »[1] . والحساب يشتمل على معان كثيرة ومنافع جليلة ، ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب فى الدنيا لما فهموا عن الله ـ عزوجل ـ معنى الحساب فى الآخرة .

وأما الخط فمما ذكر الله ـ عزوجل ـ فى كتابه من فضيلته والانعام بمنافع الكتاب قوله لنبيه ـ عليه السلام ـ : « اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم »[2] . وأقسم به فى كتابه المنزل على نبيه المرسل حيث قال : « ن . والقلم وما يسطرون »[3] ، ولذلك قالوا : « القلم أحد اللسانين » كما قالوا : « قلة العيال أحد اليسارين » ، وقالوا : « القلم أبقى أثرا ، واللسان أكثر هذرا » .

وفى عدم اللفظ وفساد الخط والجهل بالعقد فساد جل النعم ، وفقدان جمهور المنافع ، واختلال كل ما جعله الله ـ عزوجل ـ لنا قواما ومصلحة ونظاما .

وأما النصبة فهى الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد ، وذلك ظاهر فى خلق السماوات والارض وفى كل صامت وناطق ، وجامد ونام ، ومقيم وظاعن ، وزائد وناقص . فالدلالة التي فى الموات الجامد كالدلالة التي فى الحيوان الناطق ، فالصامت ناطق من جهة الدلالة ، والعجماء معربة من جهة البرهان . ولذلك قال الاول : « سل الارض فقل : من شق أنهارك ، وغرس أشجارك ، وجني ثمارك ، فان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا »[4].

وهذه الصور الخمس هي رأي الجاحظ في البيان ، وقد تابعه صاحب كتاب « البرهان في وجوه البيان » فيما ذهب اليه من دلالات ، وهى عنده

(١) سورة الانعام ، الآية ٩٦ .
(٢) سورة العلق ، الآيات ٣ـ٥ .
(٣) سورة القلم ، الآية ١ .
(٤) ينظر البيان ج١ ص ٧٦ وما بعدها .

أربعة أوجه : بيان الاشياء بذواتها وان لم تبن بلغاتها وهو ما يسمى لسان الحال فالاشياء تبين للناظر المتوسم والعاقل المتبين بذواتها وبعجيب تركيب الله فيها وآثار صنعته •

وبيان الاعتقاد وهو الذى يحصل فى القلب عن اعمال الفكر واللب فيصير صاحبه عالما بالاشياء مستيقنا بها •

وبيان العبارة ، وهو النطق باللسان للاخبار عما فى النفس من الحكمة المستفادة والمعرفة المكتسبة •

والبيان بالكتاب ليبلغ من بعد أو غاب ؛ لان بيان اللسان مقصور على الحاضر دون الغائب ، وهو والذى قبله يتغيران بتغير اللغات ، ويتباينان بتباين الاصطلاحات •[1]

ولو نظرنا الى هذه الاوجه الاربعة لرأيناها قريبة الصلة بما ذكره الجاحظ ، فان النصبة عند الجاحظ هى بيان الاعتبار ويمكن أن ندخل فيها بيان الاعتقاد ؛ لانه ثمرة بيان الاعتبار ونتيجته فى القلب • ودلالة اللفظ هى البيان الثالث ، ودلالة الخط هى البيان الرابع •[2]

والبيان عند الرمانى (ـ٣٨٦هـ) الاحضار لما يظهر به تميز الشىء من غيره فى الادراك[3] • وأقسامه أربعة : كلام وحال واشارة وعلامة •

والكلام على وجهين : كلام يظهر به تميز الشىء من غيره فهو بيان ، وكلام لا يظهر به تميز الشى فليس ببيان كالكلام المخلط والمحال الذى لا يفهم به معنى • وليس كل بيان يفهم به المراد فهو حسن من قبل انه قد يكون على عى وفساد • وليس يحسن أن يطلق اسم بيان على ما قبح من الكلام ؛ لان الله قد مدح البيان واعتد به فى أياديه الجسام فقال : « الرحمن • علم القرآن • خلق الانسان • علمه البيان » ، ولكن اذا قيد بما يدل على انه يعنى بها افهام المراد جاز •

---

(١) البرهان فى وجوه البيان ص ٦٠ وما بعدها •
(٢) تنظر مقدمة البرهان ص ٣٢ والبيان العربى لطبانة ص ١١٠ •
(٣) النكت فى اعجاز القرآن (ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن) ص ٩٨ •

وحسن البيان فى الكلام على مراتب : فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن فى العبارة من تعديل النظم حتى يحسن فى السمع ويسهل على اللسان وتتقبله النفس تقبل البرد ، وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة .

ان البيان عند الرمانى غير محدد ، ويلتقى بالمعنى الذى رمى اليه الجاحظ وصاحب كتاب « البرهان » ، وتقسيمه الى أربعة أقسام عودة الى دلالات الجاحظ .

ونقل ابن رشيق القيروانى (ـ٤٦٣هـ) تعريف الرمانى ، ولكنه لم يقف عنده أو يرفضه بل ذكر تعريفا آخر وهو : « البيان : الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقلة ، وانما قيل ذلك لانه قد يأتى التعقيد فى الكلام الذى يدل ولا يستحق اسم البيان »[1] .

والغريب ان ابن رشيق لا يطلق البيان على البلاغة ، وانما هو عنده فن من فنونها كالمجاز والاستعارة والتشبيه والاشارة والتتبيع والتجنيس والترديد . ولعل هذا الفهم ضيق نطاق بحثه وحصره في الفصل الذي عقده وذكر فيه بعض الاقوال البليغة كقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ان من البيان لسحرا » وقول أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ : « وليتُ أموركم ولست بخيركم ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فان عصيت الله فلا طاعة لى عليكم » .

ولكن الامثلة والاقوال التي ضيق بها نطاق البحث لاتنطبق كل الانطباق على تعريفه الذى كان قريبا مما أشار اليه المتقدمون . وعبارة « الكشف عن المعنى » قريبة من عبارة الجاحظ : « البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى » .

ولم يحدد ابن سنان الخفاجي (ـ٤٦٦ هـ) معنى البيان بل لم يشر اليه ، وسمى البلاغة فصاحة بمعناها الواسع . أما عبدالقاهر الجرجانى (ـ

(١) العمدة ج١ ص ٢٥٤ .

٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) فقد اعتبر الفصاحة والبلاغة والبراعة والبيان أمرا واحدا، وهو التعبير عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الاغراض والمقاصد ، وراموا أن يعلموهم ما فى نفوسهم ، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم .[1]

وأخذ البيان عند ضياء الدين بن الاثير (-٦٣٧هـ) معنى واسعا وهو لتأليف النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه للاحكام وأدلة الاحكام . ومداره على حاكم الذوق السليم الذى هو أنفع من ذوق التعليم ، وموضوعه الفصاحة والبلاغة وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية ، وهو والنحوى يشتركان فى أن النحوى ينظر فى دلالة الالفاظ على المعانى من جهة الوضع اللغوى وتلك دلالة عامة ، وصاحب علم البيان ينظر فى فضيلة تلك الدلالة وهى دلالة خاصة والمراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن وذلك أمر وراء النحو والاعراب .

وصناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تفتقر الى آلات كثيرة وقد قيل : ينبغى للكاتب أن يتعلق بكل علم حتى قيل : كل ذى علم يسوغ له أن ينسب نفسه اليه فيقول : فلان النحوى ، وفلان الفقيه ، وفلان المتكلم ، ولا يسوغ له أن ينسب نفسه الى الكتابة فيقول : فلان الكاتب ، وذلك لما يفتقر اليه من الخوض فى كل فن .

وملاك هذا كله الطبع ، فانه اذا لم يكن ثَمَّ طبع فانه لا تغنى تلك الآلات شيئا ، ومثال ذلك كمثل النار الكامنة فى الزناد والحديدة التى يقدح بها ، ألا ترى أنه اذا لم يكن فى الزناد نار لا تفيد تلك الحديدة شيئا ؟

واذا ركّب الله فى الانسان طبعا قابلا لهذا الفن فيفتقر حينئذ الى ثمانية أنواع من الآلات هى : معرفة علم العربية من النحو والتصريف ، ومعرفة ما يحتاج اليه من اللغة ، وهو المتداول المألوف استعماله فى فصيح الكلام ، ومعرفة أمثال العرب وأيامهم ، والاطلاع على تأليفات من تقدمه من أرباب

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٣٥ .

هذه الصناعة المنظومة منها والمنثورة والتحفظ لكثير منه ، ومعرفـــة الاحكام السلطانية ، وحفظ القرآن الكريم ، وحفظ ما يحتاج اليه من الاخبار الواردة عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، ومعرفة علم العروض والقوافي الذى يقام به ميزان الشعر »[1]

ان « البيان » عند هؤلاء أخذ معنى واسعا يدل على البلاغة كلها ، ويكاد كلهم يجمعـون على أن البيـــان الافصـاح عما فى النفس من المعـــانى والاحاسيس • وهذا معنى أدبى جميل أعطى للبلاغة حياة وأكسبها رونقا وبهاءا ، وفتح أمامها السبيل لتخوض فى موضوعات أدبية بديعة وتبدى آراءا نقدية طريفة •

ولم يبق هذا المفهوم الواسع للبيان ، فقد ظهر فى خوارزم السكاكى (ـ٦٢٦هـ) الذى وضع للبلاغة قواعدها المنطقية وقسمها الى المعانى والبيان، وألحق بهما المحسنات • ووضع لكل قسم تعريفا دقيقا وحدد مباحثه وفنونه، وقال في تعريف البيان : « أما علم البيان : فهو معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة فى وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ فى مطابقة الـكلام لتمام المراد منه »[2] •

وأدخل الدلالات فى تقسيم موضـوعاته وأقحمها اقحامـا ، ورأى أن صاحب هذا العلم له فضل احتياج الى التعرض لانواع دلالات الكلم • يقول: « لا شبهة فى أن اللفظة متى كانت موضوعة لمفهوم أمكن أن تدل عليه من غير زيادة ولا نقصان بحكم الوضع ، وتسمى هذه دلالة المطابقة ودلالـــة وضعية • ومتى كان لمفهومها ذلك ــ ولنسمه أصليا ــ تعلق بمفهوم آخـــر أمكن أن تدل عليه بوساطة ذلك التعلق بحكم العقل سواء كان ذلك المفهوم الآخر داخلا فى مفهومها الاصلى كالسقف ــ مثلا ــ فى مفهوم البيت ،ويسمى هذا دلالة التضمن ودلالة عقلية أيضا • أو خارجا عنه كالحائط عن مفهوم

(١) ينظر المثل السائر ج١ ص ٩ـ١٠ •
(٢) مفتاح العلوم ص ٧٧ •

السقف وتسمى هذه دلالة الالتزام ودلالة عقلية أيضا »[1] .

فالدلالات التى تحدث عنها السكاكي وذكرها فى بحث البيان هى : دلالة اللفظ على تمام ما وضع له ، ودلالة التضمن وهى دلالة اللفظ على جزء ما وضع له أو جزء مسماه مع دخوله فيه ، ودلالة الالتزام وهى دلالة اللفظ على معنى خارج عن مسماه لازم له . وتسمى دلالة المطابقة دلالة وضعية ،لان السبب في ذلك حصولها عند سماع اللفظ أو تذكره وهو معرفة الوضع دون حاجة الى شى آخر .أما دلالتا التضمن والالتزام فتسميان دلالتين عقليتين ؛ لان حصولهما بانتقال العقل من الكل الى الجزء فى الاولى ، ومن الملزوم الى اللازم فى الثانية . بمعنى ان الواضع وضع اللفظ ليفيد جميع المعنى غير أن العقل اقتضى أن الشيء لا يوجد بدون جزئه أو لازمه[2] .

وبنى السكاكي تقسيم البيان على هذه الدلالات فأخرج التشبيه ؛ لان دلالته وضعية ، والدلالة الوضعية لا يمكن بها ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة وأيَّدَ ذلك بقوله : « فانك اذا أردت تشبيه الخد بالورد في الحمرة مثلا ، وقلت : « خد يشبه الورد » امتنع أن يكون كلام مؤد لهـذا المعنى بالدلالات الوضعية أكمل منه في الوضوح أو أنقص . فانك اذا أقمت مقام كل كلمة منها ما يرادفها فالسامع ان كان عالما بكونها موضوعة لتلك المفهومات ، كان فهمه منها كفهمه من تلك من غير تفاوت في الوضوح ، والا لم يفهم شيئا أصلا وانما يمكن ذلك فى الدلالات العقلية مثل أن يكون لشيء تعلق بآخر ولثان ولثالث . فاذا أريد التوصل بواحد منها الى المتعلق به ،فمتى تفاوتت تلك الثلاثة فى وضوح التعلق وخفائه صَحّ فى طريق افادته الوضوح والخفاء »[3] .

أما الموضوعات الاخرى فيقول فى حصرها : « واذا عرفت أن ايراد

---

(١) مفتاح العلوم ص ١٥٦ .

(٢) ينظر الطراز للعلوى ج١ ص ٣٤-٣٩ ، وفن التشبيه للجندى ج١ ص ٢٠ وما بعدها .

(٣) مفتاح العلوم ص ١٥٦ .

المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأتى الا فى الدلالات العقلية وهى الانتقال من معنى الى معنى بسبب علاقة بينهما كلزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه ، ظهر لك ان علم البيان مرجعه اعتبار الملازمات بين المعانى • ثم اذا عرفت أن اللزوم اذا تصور بين الشيئين فأما أن يكون من الجانبين كالذى بين الامام والخلف بحكم العقل ، أو بين طول القامة وبين طول النجاد بحكم الاعتقاد ، أو من جانب واحد كالذى بين العلم والحياة بحكم العقل ، أو بين الاسد والجرأة بحكم الاعتقاد ، ظهر لك ان مرجع علم البيان اعتبار هاتين الجهتين: جهة الانتقال من ملزوم الى لازم ، وجهة الانتقال من لازم الى ملزوم •

ولا يربك بظاهرة الانتقال من أحد لازمى الشىء الى الآخر ما اذا انتقل من بياض الثلج الى البرودة فمرجعه ما ذكر ينتقل من البياض الى الثلج ثم من الثلج الى البرودة ، فتأمل •

واذا ظهر أن مرجع البيان هاتان الجهتان ، علمت انصباب علم البيان الى التعرض للمجاز والكناية ، فان المجاز ينتقل فيه من الملزوم الى اللازم كما تقول : « رعينا غيثا » والمراد لازمه وهو النبت • وقد سبق ان اللزوم لايجب أن يكون عقليا بل ان كان اعتقاديا اما لعرف أو لغير عرف ، صحّ البناء عليه •

وأما نحو قولك : « أمطرت السماء نباتا » أى : غيثا من المجازات المنتقل فيها عن اللازم الى الملزوم فمنخرط فى سلك « رعينا الغيث » • وان الكناية ينتقل فيها من اللازم الى الملزوم كما تقول : « فلان طويل النجاد » فلا يصار الى جعل النجاد طويلا أو قصيرا الا لكون القامة طويلة أو قصيرة• فلا علينا أن نتخذهما أصلين » •[1]

لقد حصر السكاكى بهذه الطريقة البعيدة عن دراسة الادب ومقاييسه علم البيان فى بحثين هما : المجاز والكناية ؛ لان دلالتهما عقلية ، والدلالة العقلية هى التى يمكن بها ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح

(١) مفتاح العلوم ص ١٥٧ •

الدلالة عليه . أما التشبيه فقد أخرجه بهذا الحصر من البيان ؛ لان دلالته وضعية ، والدلالة الوضعية لا يمكن بها ايراد المعنى بطرق مختلفة في وضوح الدلالة ؛ لان السامع ان كان عالما بوضع الالفاظ لم يكن بعضها أوضح دلالة من بعض والا لم يكن كل منها دالا عليها .

ولكنه لم يستطع أن يهمل بحثه مع تصريحه بأن دلالته وضعية ، وأنى له أن يخرجه وهو يعلم أنه باب واسع في اللغة كثير الاستعمال ، وان له مزايا تورث الكلام حسنا وجمالا ؟ ولكن كيف يضمه الى مباحث علم البيان ؟

لقد أصطنع اسلوبا فيه تكلف وتعسف ، وقال : « ثم ان المجاز ـ أعني الاستعارة ـ من حيث أنها من فروع التشبيه لا تتحقق بمجرد حصول الانتقال من الملزوم الى اللازم ، بل لابد فيها من تقدمة تشبيه شيء بذلك الملزوم في لازم له تستدعي تقديم التعرض للتشبيه ، فلا بد من أن نأخذه أصلا ثالثا ونقدمه ، فهو الذي اذا مهرت فيه ملكت زمام التدرب في فنون السحر البياني »[1] .

وليس التشبيه فنا طارئا ـ كما زعم ـ وانما هو كثير الدوران في كلام العرب ، يقول المبرد : « والتشبيه جار في كثير من الكلام ـ أعني كلام العرب ـ حتى لو قال قائل أنه أكثر كلامهم لم يبعد »[2] .

ولا ندري لماذا أسرف السكاكي في اصطناع هذا الاسلوب وهو يعترف بان الانسان اذا مهر في التشبيه ملك زمام التدريب في فنون السحر البياني ؟

ولم يكن السكاكي أول من اضطرب في اعتبار التشبيه من مباحث البيان ، فمعاصره المطرزي كان يحس بأهميته ، ولكن كيف يتكلم عليه وهو ليس من المجاز ؟ وكيف يستطيع أن يورده في بحث البيان ؟ لقد اصطنع ما اصطنعه السكاكي فقال وهو يتحدث عنه : « والتشبيه ـ وان لم

(١) مفتاح العلوم ص ١٥٧ .
(٢) الكامل ج٣ ص ٨١٨ .

يكن من باب المجاز في شيء ـ الا انى أوردته لامرين :

أحدهما : أن يكون توطئة لمن يسلك سبيل الاستعارة والتمثيل ؛ لانه كالاصل لهما وهما كالفرع له .

والثاني : انه ركن من أركـان البلاغة لاخراجـه الخفى الى الجلى ، وادنائه البعيد من القريب » .[1]

ولكن البلاغيين بحثوه في علم البيان واعتبروه من أهم مباحثه ، بـل اعتبره السكاكى أصلا ثالثا من أصول البيان وقدمه على جميع الاصول . وحمل المولى عصام حملة عنيفة عليه وقال : « ان ما قرره السكاكى يستدعى تقديم التشبيه على الاستعارة وجوبا وعلى المجاز استحسانا كي لايقع الفصل به بين أنواع المجاز . وأما أخذه أصلا ثالثا فلا يستدعيه أصلا ، بل الواجب أن يجعله مقدمة خارجة عن مقاصد هذا الفن » . وساق عذره قائلا : « بانه وان كان فى الحقيقة مقدمة خارجة ـ ولكنه لكثرة مباحثه وأقسامه وعمـوم تفاصيله وأحكامه وتشعب فروعه وقوة نفعه فى المطالب البيانية قد ارتقى عن أن يجعل مقدمة فلهذه الضرورة قد أتخذه اصلا ادعائيا لا حقيقيا . ولايذهب عليك ان فى جعل التشبيه أصلا ثالثا من البيان بهذا القدر تكلفا باردا أراد السكاكي ترويجه بالمبالغة في العبارة حيث قال هناك : « فلا بد أن نأخذه أصلا ثالثا » مع أنه قال فى الاصلين الحقيقيين المجاز والكناية : « فلا علينا أن نتخذهما أصلين » .[2]

وهذا التقسيم لا يستقيم للبلاغيين ما داموا يعترفون بان التشبيه مقصد أساسى فى البيان ، وانه وسيلة لبعض أنواع المجاز .

وهكذا حدد السكاكى فنون البيان وضبط أصوله ، ولكن كيف يرتبها؟ ان الاستعارة تعتمد على التشبيه فلا بد أن يقدمه لانه « اذا مهرت فيه ملكت زمام التدرب فى فنون السحر البيانى » . ولما كان طريق الانتقال من الملزوم

(١) الايضاح فى شرح مقامات الحريرى ص ٥ .

(٢) شرح الفوائد الغياثية ص ١٩٥ نقلا عن فن التشبيه ج١ ص ٢٥ .

الى اللازم واضحا بنفسه ، ووضوح طريق الانتقال من اللازم الى الملزوم انما هو بالغير وهو العلم بكون اللازم مساويا للملزوم أو أخص منه ـ قدم السكاكي المجاز وأخّر الكناية ؛ لانها بالنظر الى هذه الجهة نازلة من المجاز منزلة المركب من المفرد »[1] وبذلك كانت مباحث علم البيان عنده : التشبيه والمجاز والكناية .

وشعر السكاكي بهذا التكلف في حصر مباحثه فقال : « والمطلوب بهذا التكلف هو الضبط فاعلم » .[2]

ولما جاء الخطيب القزويني (ـ٧٣٩هـ) وجد الطريق معبدا ووجد فنون البيان قد انحصرت واستقرت ، وسار على هدى السكاكي وعرفه بقوله : « هو علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه » .[3] وكان قوله : « بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه » مدعاة للكلام في الدلالات والحديث عن شروط دلالة الالتزام .

وذكر أن ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة لا يتأتى بالدلالة الوضعية؛ لان السامع ان كان عالما بوضع الالفاظ لم يكن بعضها أوضح دلالة من بعض، والا لم يكن كل واحد منها دالا ، وانما يتأتى بالدلالات العقلية لجواز أن يكون للشيء لوازم بعضها أوضح لزوما من بعض .[4] وظن بعض شراح « التلخيص » أن دلالة التضمن ليست كدلالة الالتزام ، ولذلك قال بهاء الدين السبكي : « وليس كذلك بل الذى يظهر أنها تتأتى بالدلالة العقلية تضمنا كانت أم التزاما » .[5]

وقسم البيان كما قسمه السكاكي ؛ لان اللفظ المراد به لازم ما وضع له ان قامت قرينة على عدم ارادة ما وضع له فهو مجاز والا فهو كناية .

---

(١) ينظر مفتاح العلوم ص ١٥٧ وكتابنا : البلاغة عند السكاكي ص ١٤٧وما بعدها.
(٢) مفتاح العلوم ص ١٥٧ .
(٣) الايضاح ص ٢١٢ .
(٤) ينظر كتابنا : القزويني وشروح التلخيص ص ٣٢١ وما بعدها .
(٥) عروس الافراح (شروح التلخيص) ج٢ ص ٢٧٩ .

ثم المجاز منه الاستعارة وهى ما تبتنى على التشبيه ، فيتعين التعرض لـــه ، فانحصر المقصود فى التشبيه والمجاز والكناية • وقدم التشبيه على المجـاز لابتناء الاستعارة عليه ، وقدم المجاز على الكناية لنزول معناه من معناهـــا منزلة الجزء من الكل • ولعل هذا سر ادخال الـكناية فى البيان ؟ لانهـــا تحتاج الى قرينة تدل على المعنى المراد منها كما ان المجاز فى حاجة الى هذه القرينة ، غير ان قرينة المجاز تمنع من ارادة المعنى الاصلى وقرينتها لا تمنع من ارادة المعنى الحقيقى •

وأخذ البيان عند السكاكى والقزوينى طابعا علميا ، وأصبح يدل على التشبيه والمجاز بأنواعه والكناية ، بعد أن كان يشمل فنون البلاغة كلها عند المتقدمين •

البـــديع

جاء في لسان العرب : « بدع الشيء يبدعه بدعا وابتدعه : أنشـــأه وبدأه . وبدع الركية : استنبطها وأحدثها . وركي بديع : حديثة الحفر . والبديع والبدع : الشيء الذي يكون أولا . وفي التنزيل : « قل ما كنت بدعا من الرسل » .[1] أي : ما كنت أول من ارسل ، قد أرسل قبلي رسل كثير . والبدعة : الحدث وكل محدثة . والبديع : المحدث العجيب . والبديع : المبدع . وابتدعت الشيء : اخترعته لا على مثال . والبديع : من اسماء الله تعالى لابداعه الاشياء واحداثه اياها ، وهو البديع الاول قبل كل شيء . وسقاء بديع : جديد ، وكذلك زمام بديع . وأنشـــد ابن الاعرابي لابي محمد الفقعي :

نضحن ماء البدن المسرّى نضح البـديع العنق المصفرّ

وحبل بديع : جديد . والبديع : المبتَدِع والمبتدَع . وأبدع الشيء : جاء بالبديع » .

ولا يخرج معنى كلمة « البديع » في المعاجم الاخرى عن معنى الجدة والبراعة . ويرى الجاحظ (ـ٢٥٥هـ) أن الرواة أول من أطلق معنى البديع على المستطرف الجديد من الفنون الشعرية وعلى بعض الصـــور البيانية التي يأتي بها الشعراء في أشعارهم فتزيدها حسنا وجمالا . يقـول معلقا على بيت الاشهب بن رميلة :

هُمُ ساعدُ الدهر الذي يتقى به وما خير كف لا تنوء بساعدِ

« قوله : « هم ساعد الدهر » انما هو مثـل ، وهذا الـــذي تسميه الرواة البديع » .[2]

---

(١) سورة الاحقاف ، الآية ٩ .
(٢) البيان والتبيين ج٤ ص ٥٥ .

لكن أبا الفرج الاصفهانى يذكر ان الشاعر العباسى مسلم بن الوليد (-٢٠٨هـ) كان أول من أطلق هذا المصطلح ، يقول : « وهو فيما زعموا أول من قال الشعر المعروف بالبديع ، وهو لقب هذا الجنس البديع واللطيف وتبعه فيه جماعة ، وأشهرهم فيه أبو تمام الطائى فانه جعل شعره كله مذهبا واحدا فيه » .[1]

ودفع الجاحظ غلوه فى حب العرب والرد على الشعوبية الى أن يقول: « والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت على كل لسان » .[2]

وكان المولدون من شعراء العصر العباسى قد أكثروا فى أشعارهم من الصور البيانية التى سميت « البديع » ، فكلثوم بن عمرو يذهب بشعره هذا المذهب وتبعه كثير من الشعراء كمنصور النمرى ومسلم بن الوليد . يقول الجاحظ : « ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن : كلثوم بن عمرو العتابى وكنيته أبو عمرو وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله فى البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين كنحو منصور النمرى ومسلم بن الوليد الانصارى وأشباههما . وكان العتابى يحتذى حذو بشار فى البديع ، ولم يكن فى المولدين أصوب بديعا من بشار وابن هرمة » .[3] ويقول : « والراعى كثير البديع فى شعره ، وبشار حسن البديع ، والعتابى يذهب شعره فى البديع » .[4]

وهذه ظاهرة ليست غريبة بعد أن خرج العرب من جزيرتهم واتصلوا بالامم ، ودخل الترف مجتمعهم الجديد وتأنقوا فى حياتهم . وكان لا بد أن يصطبغ أدبهم بهذه الصبغة الجديدة ، وأن يكثر الشعراء من البديع . وقد حمل لواء هذا الاتجاه بشار وابن هرمة ومسلم بن الوليد وأبو تمام ،

---

(١) الاغانى (مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١٣١٨/ أدب ج١٧ ص ١٨ ظ) نقلا عن شرح ديوان صريع الغوانى ص ٣٦٤ .

(٢) البيان ج٤ ص ٥٥ .

(٣) البيان ج١ ص ٥١ .

(٤) البيان ج٤ ص ٥٦ .

وشاع هذا اللون فى الادب ونج المولدون فى اصطناعه وتباهوا بأنهم السباقون اليه مما حدا بالخليفة العباسى الشاعر عبدالله بن المعتز (-٢٩٦هـ) أن يؤلف « كتاب البديع » ليعلم أن بشارا ومسلما وأبا نواس ومن تقيلهم[١] وسلك سبيلهم لم يسبقوا الى هذا الفن ، ولكن كثر فى اشعارهم فعرف فى زمانهم حتى سمى بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه ، وليعرف أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين الى شيء من أبواب البديع . يقول : « ثم ان حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شغف به حتى غلب عليه وتفرع فيه وأكثر منه فأحسن فى بعض ذلك وأساء فى بعض ، وتلك عقبى الافراط وثمرة الاسراف وانما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين فى القصيدة ، وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع وكان يستحسن ذلك منهم اذا أتى نادرا ، ويزداد حظوة بين الكلام المرسل »[٢] .

ولعل الجاحظ كان أول من اعتنى بالبديع وصوره وأطلقه على فنون البلاغة المختلفة . وتعليقه على بيت الاشهب بن رميلة يؤيد ذلك حيث سمى الاستعارة بديعا ، ولكنه لم يعرفه أو يُشِرْ الى فنونه بل كان يطلق هذا المصطلح اطلاقا فيقول مثلا : « وقطعة من البديع » قوله .

اذا حداها صاحبي ورجعا
وصاح فى آثارها فأسمعا
يتبعن منهن جُلالا أتلعا
أدمك فى ماء المهاوى مُنقعا[٣]

وقال الراجز فى البديع المحمود :

قد كنت اذ حَبْلُ صباك مُدْمَشُ
واذ أهاضيبُ الشباب تَبْغَشُ[٤]

---

(١) تقيلهم : حاكاهم .
(٢) البديع ص ١ .
(٣) الجلال ـ بالضم : العظيم . الاتلع : الطويل العنق .
(٤) مدمش . مدمج . الاهضوبة : الدفعة من المطر . تبغش : تدفع مابها من الماء . وقد كنى بقوله عن قوة الشباب ونعمته وريه .

ومن هذا البديع المستحسن قول حجر بن خالد بن مرثد :

سمعت بفعل الفاعلين فلم أجـــد

كفعـــل أبي قابـــوس حزما ونائلا[1]

يُســـاق الغمام الغـرّ من كل بلـــدة

اليـك فأضحى حـــول بيتك نازلا[2]

وليس في هذه العبارات ما يوضح رأى الجاحظ ، وهو يذهب فى البديع مذهب معاصريه ممن أدخل الاستعارة والطباق والجناس والتورية والتشبيه والكناية في أبوابه •

واذا نظرنا الى البديع هذه النظرة الواسعة رأينا كثيرا من فنونه فى كتبه كالاستعارة والتشبيه والكناية والسجع والارصاد وحسن التقسيـــم والاحتراس والازدواج والاسلوب الحكيم والتسهيم والمساواة والاقتباس •

وكان ابن المعتز ينظر اليه كالجاحظ ، وألف « البديع » ليرد ما ذهب اليه معاصروه من أن هذا الفن طارىء ، وان بشارا ومسلما وأبا نواس لم يسبقوا اليه • وليبرهن على ذلك قدم فى أبواب كتابه أمثلة منه ، يقول فى المقدمة : « قد قدمنا فى أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكلام الصحابة والاعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذى سماه المحدثون البديع »[3] •

والبديع عنده خمسة أنواع : الاستعارة والتجنيس والمطابقة وردأعجاز الكلام على ما تقدمها والمذهب الكلامى • وقد قال بعد أن تكلم عليها : « قد قدمنا أبواب البديع الخمسة وكمل عندنا ، وكأنى بالمعاند المغرم بالاعتراض على الفضائل قد قال : « البديع أكثر من هذا » وقال : « البـــديع باب أو بابان » من الفنون الخمسة التى قدمناها فيقل من يحكم عليه ؟ لان البديع اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم ، فأمـــا العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو • وما

---

(١) أبو قابوس : كنية النعمان •

(٢) ينظر الحيوان ج٣ ص ٥٧ــ٥٨ •

(٣) البديع ص ١ •

جمع فنون البديع ولا سبقني اليه أحد » . ثم قال : « ونحن الآن نذكر بعض محاسن الكلام والشعر ، ومحاسنها كثيرة لا ينبغي للعالم أن يدعى الاحاطة بها حتى يتبرأ من شذوذ بعضها عن علمه وذكره . وأحببنا لذلك أن تكثر فوائد كتابنا للمتأدبين ويعلم الناظر انا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختيارا من غير جهل بمحاسن الكلام ولا ضيق في المعرفة فمن أحب ان يقتدى بنا ويقتصر بالبديع على الخمسة فليفعل ، ومن أضاف من هـذه المحاسن أو غيرها شيئا الى البديع أو لم يأب غير رأينا فله اختياره »[1] .

ومحاسن الكلام والشعر التى ذكرها ثلاثة عشر ، وهى : الالتفات ، والاعتراض ، والرجوع ، وحسن الخروج ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتجاهل العارف ، والهزل الذى يراد به الجد ، وحسن التضمين ،والتعريض والكناية ، والافراط فى الصفة ، وحسن التشبيه ، واعنات الشاعر نفسه فى القوافى ، وحسن الابتداءات .

والبديع كما تشير اليه هذه الفنون يشمل موضوعات البلاغة المختلفة ، ومعنى ذلك أن هذا المصطلح كان ذا دلالة واسعة فى القرن الثالث للهجرة .

وعاصره قدامة بن جعفر (ـ٣٣٧هـ) ، وجمع من البديع أنواعـا كثيرة ، بعضها مما ذكره ابن المعتز وبعضها جديد كالتقسيم ، والترصيع ، والمقابلات ، والتفسير ، والمساواة ، والاشارة ، وائتلاف اللفظ مع الوزن ، والتمثيل ، والتوشيح ، والايغال ، وائتلاف المعنى مع الوزن ، وائتلاف القافية، والارداف[2] ولم يسمها بديعا ، وانما هي من محاسن الكلام ونعوته .

وتبعهما أبو هلال العسكرى (ـ٣٩٥هـ) وعقد الباب التاسع فى « كتاب الصناعتين » لشرح البديع ، وهو ـ عنده ـ مختلف الصور البيانية كالاستعارة والمجاز والمطابقة والتجنيس . وصور البديع خمس وثلاثون ، قـال عنها :

---

(١) البديع ص ٥٧ـ٥٨ .

(٢) ينظر البلاغة تطور وتاريخ ص ٩٢ ، وقدامة بن جعفر والنقد الادبى ص ٣٧٠ ، والبيان العربى ص ١٤٤ .

« فهذه أنواع البديع التى ادعى من لا روية له ولا دراية عنده أن المحدثين ابتكروها وان القدماء لم يعرفوها وذلك لما أراد أن يفخم أمر المحدثين ؛ لان هذا النوع من الكلام اذا سلم من التكلف وبرىء من العيوب كان فى غاية الحسن ونهاية الجودة »[1] .

وزاد ستة فنون هي : التشطير ، والمجاورة ، والتطريز ، والمضاعفة ، والاستشهاد ، والتلطف . ثم أضاف اليها المشتق بعد نظم هذه الانواع . ولم تسلم له جميع هذه الفنون[2] .

ولم يهتم القاضي الجرجاني (-٣٩٢ هـ) بألوان البديع ، ولم يذكر منها الا فنونا قليلة . وقد اشار الى أن المحدثين سموا الاستعارة والمطابقة والجناس وغيرها بديعا ، وقال : « وقد كان يقع ذلك فى خلال قصائدها ، ويتفق لها فى البيت بعد البيت على غير تعمد وقصد ، فلما أفضى الشعر الى المحدثين ورأوا مواقع تلك الابيات من الغرابة والحسن ، وتميزها عن أخواتها فى الرشاقة واللطف ، تكلفوا الاحتذاء عليها فسموه البديع ، فمن محسن ومسىء ، ومحمود ومذموم ، ومقتصد ومفرط »[3] .

وتبعهم أبو بكر الباقلانى (- ٤٠٣هـ) ، وكانت نظرته الى البديع شاملة ، وقد عقد فى كتابه « اعجاز القرآن » بابا فى ذكر البديع من الكلام ، وهو واسع يشمل الاستعارة والتشبيه والغلو والمماثلة وغيرها . ومع ان هذه الفنون تضيف رونقا وجمالا الى الكلام غير انها لا توصل الى معرفة اعجاز القرآن . يقول : « لا سبيل الى معرفة اعجاز القرآن من البديع الذى ادعوه فى الشعر ووصفوه ، وذلك ان هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة ويخرج عن العرف ، بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب به والتصنع

---

(١) كتاب الصناعتين ص ٢٦٧ .

(٢) ينظر بلاغة ارسطو بين العرب واليونان ص ٢٨٨ ، وابو هلال العسكرى ومقاييسه البلاغية والنقدية ص ٢١٧ وما بعدها ، والبيان العربى ص ١٦٤ ، والبلاغة تطور وتاريخ ص ١٤٢ .

(٣) الوساطة بين المتنبى وخصومه ص ٣٤ .

له كقول الشعر ورصف الخطب وصناعة الرسالة والحذق فى البلاغة . وله طريق يسلك ووجه يقصد وسلم يرتقى فيه اليه ومثالقد يقعطالبعليه»[1].

واهتم ابن رشيق القيروانى (-٤٦٣هـ) بالبديع ، وفرق بينه وبين المخترع . فالمخترع من الشعر هو « ما لم يسبق اليه قائله ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره ، أو ما يقرب منه »[2] . والبديع هو الجديد ، وأصله فى الحبال وذلك أن يفتل الحبل جديدا ليس من قوى حبل نقضت ثمفتلت فتلا آخر . يقول : « والبديع ضروب كثيرة وأنواع مختلفة ، أنا أذكر منها ما وسعته القدرة وساعدت فيه الفكرة »[3] .

وأدخل فى البديع المجاز والاستعارة والتمثيل والمثل السائر والتشبيه والاشارة وغيرها .

ولا يختلف عبدالقاهر الجرجانى (-٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) عن سابقيه ، والبديع -عنده- فنون البلاغةالمختلفة كالاستعارة والتشبيه والتمثيلوالتجنيس والحشو . وعلة ذلك ان المصطلحات الكبرى لم تستقر عنده ، وتكادالبلاغة والفصاحة والبراعة والبيان والبديع تكون بمعنى واحد ، وان كان البيان عنده أحب وأولى بالقبول ، يقول : « ثم انك لا ترى علما هو أرسخ أصلا، وأبسق فرعا ، وأحلى جنى ، وأعذب وردا ، وأكرم نتاجا ، وأنور سراجا من علم البيان الذى لولاه لم تر لسانا يحوك الوشى ويصوغ الحلى ويلفظ الدر وينفث السحر »[4] .

وأطلق أسامة بن منقذ (-٥٨٤هـ) البديع على أحد كتبه وهو «البديع فى نقد الشعر » جمع فيه خمسة وتسعين فنا بلاغيا ، أولها التجنيس المغاير . ولم يعرف البديع أو يتحدث عنه وانما أشار الى أنه جمع فى كتابه ما تفرق فى كتب العلماء المتقدمين المصنفة فى نقد الشعر وذكر محاسنه وعيوبه ليكون

---

(١) اعجاز القرآن ص ١٦٨ .
(٢) العمدة ج١ ص ٢٦٢ .
(٣) العمدة ج١ ص ٢٦٥ .
(٤) دلائل الاعجاز ص ٤ .

مغنيا عن تلك الكتب لتضمنه أحسن ما فيها [1] .

وسار ابن أبي الاصبع المصري (-٦٥٤هـ) في كتابيه « تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن » و « بديع القرآن » على خطا ابن منقذ ، فلم يعرف البديع وانما ذكر موضوعات بلاغية تزيد على المائة منها الاستعارة والتشبيه والنوادر والتنكيت والتخيير . وهذه الفنون لا تخص البديع وحده بل تشمل علوم البلاغة كلها . ومن الفنون التي ذكرها ولها صلة بلفظة « البديع » فن الابداع الذي عرفه بقوله : « وهو أن تكون مفردات كلمات البيت من الشعر أو الفصل من النثر أو الجملة المفيدة متضمنة بديعا بحيث تأتي في البيت الواحد والقرينة الواحدة عدة ضروب من البديع بحسب عدد كلماته أو جملته . وربما كان في الكلمة الواحدة المفردة ضربان فصاعدا من البديع ، ومتى لم تكن كل كلمة بهذه المثابة فليس بابداع . وما رأيت في جميع ما استقريت من الكلام المنثور والشعر الموزون كآية كريمة من كتاب الله تعالى استخرجت منها أحدا وعشرين ضربا من المحاسن وهي قوله تعالى : « وقيل يا أرض ابلعي ماءك ، ويا سماء أقلعي ، وغيض الماء ، وقضي الامر ، واستوت على الجودي ، وقيل بعدا للقوم الظالمين »[2] .

والابداع هنا غير البديع ، وبذلك لا نخرج بمعنى محدد لمصطلح البديع عند المصري وانما نفهم منه المعنى البلاغي الواسع .

ولم يهتم المشارقة بالبديع كما اهتم به المغاربة ، فعبدالقاهر والزمخشري لم يذكرا الا فنونا بديعية قليلة ؛ لانهما كانا ينظران الى البلاغة نظرة تقوم على الاهتمام بالمعنى ونظم العبارة ، وتابعهما فخر الدين الرازي في « نهاية الايجاز » والمطرزي في كتابه « الايضاح » في شرح مقامات الحريري .

وكان للبيئة المشرقية التي عاش فيها السكاكي (-٦٢٦هـ) أثر في

---

(١) تنظر مقدمة البديع في نقد الشعر ص ٨ .
(٢) تحرير التحبير ص ٦١١ ، وبديع القرآن ص ٣٤٠ .

بحثه للبديع ، فلم يهتم به اهتماما كبيرا . وكان ينظر اليه نظرة عبدالقاهر والزمخشري وغيرهما ممن اهتم بالمعاني والبيان ، ولم يذكر منه الا ستة وعشرين فنا . ورأى أنه أكثر من ذلك ، يقول : « فلك أن تستخرج من هذا القبيل ما شئت وتلقب كلا من ذلك بما أحببت »[1] . ولم يسم هذا القسم من البلاغة بديعا وانما هو محسنات أو وجوه يصار اليها لتحسين الكلام ، ولم يدخله في البلاغة ؛ لانها عنده تختص بعلمي المعاني والبيان ، ويتضح ذلك جليا في تعريفه للبلاغة حيث يقول : « البلاغة : هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وايراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها » .[2]

وبعد أن انتهى من بحث المعاني والبيان قال : « واذ قد تقرر أن البلاغة بمرجعيها ، وان الفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام حلة التزيين ويرقيه أعلى درجات التحسين ، فها هنا وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار اليها لقصد تحسين الكلام . فلا علينا أن نشير الى الاعرف منها وهي قسمان : قسم يرجع الى المعنى ، وقسم يرجع الى اللفظ » .[3]

فمن القسم الاول : المطابقة ، والمقابلة ، والمشاكلة ، ومراعاة النظير ، والمزاوجة ، واللف والنشر ، والجمع ، والتفريق ، والتقسيم ، والجمع مع التفريق ، والجمع مع التقسيم ، والجمع مع التفريق والتقسيم ، والايهام ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، والتوجيه ، وسوق المعلوم مساق غيره ، والاعتراض ، والاستتباع ، والالتفات ، وتقليل اللفظ ولا تقليله .

ومن القسم الثاني : التجنيس ، ورد العجز على الصدر ، والقلب ، والسجع ، والفواصل والترصيع .

وكان ذلك من السكاكي فتحا جديدا في تقسيم البلاغة ، وحينما لخص بدر الدين بن مالك (-٦٨٦هـ) القسم الثالث من « مفتاح العلوم »

---

(١) مفتاح العلوم ص ٢٠٤ .
(٢) مفتاح العلوم ص ١٩٦ .
(٣) مفتاح العلوم ص ٢٠٠ .

فى كتابه « المصباح » أطلق مصطلح « البديع » على القسم الثالث من البلاغة وهو المحسنات . وقال فى تعريفه : « هو معرفة توابع الفصاحة » .[1] وقال عن المحسنات: إنها « مما يكسو الكلام حلة التزيين ويرقيه أعلى درجات التحسين، ويتفرع منها وجوه كثيرة يصار اليها في باب تحسين الكلام »[2] .

وقسمها الى لفظية ومعنوية ، والمعنوية اما مختصة بالافهام والتبيين ، أو مختصة بالتزيين والتحسين . وهذا تقسيم جديد لم نألفه عند السكاكى أو غيره من البلاغيين .

والنوع الاول الراجع الى الفصاحة اللفظية أربعة وعشرون فنا هى : الترديد ، والتعطيف ، ورد العجز على الصدر ، والتشطير ، والترصيع ، والتسجيع ، والتجزئة ، والتسميط ، والمماثلة ، والتوشيع ، والتطريز ، والتشريع ، والالتزام ، والتفويت ، والاطراد ، والمزاوجة ، والتجنيس ، والمطابقة ، والمقابلة ، والتدبيج ، والمشاكلة ، والتسهيم ، والتوشيح ، والقلب .

والنوع الثانى الراجع الى الفصاحة ويختص بافهام المعنى وتبيينه تسعة عشر فنا هي : حسن البيان ، والايضاح ، والمذهب الكلامي ، والتبيين ، والتتميم ، والتقسيم ، والاحتراس ، والتكميل ، والتذييل ، والاعتراض ، والمبالغة ـ ومنها الاغراق والغلو ـ والايغال ، والتكرار ، والاستطراد ، والتجريد ، والتفريغ ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، والتعليل ، والتهكم .

والنوع الثالث الراجع الى الفصاحة المختصة بتحسين الكلام وتزيينه خمسة عشر فنا هى : اللف والنشر ، والتفريق ، والجمع ، والجمع مع التفريق ، والجمع مع التقسيم ، والائتلاف ، والتورية ، والقسم ، والمراجعة، والادماج ، والتعليق ، وحسن الابتداء ، وحسن التخلص ، وحسن الخاتمة [3] .

لقد أخذ البديع فى القرن السابع للهجرة طابعا جديدا لم نألفه من

---

(١) المصباح ص ٧٥ .
(٢) المصباح ص ٧٦ .
(٣) لم يذكر الفن الخامس عشر .

قبل ، وأصبح يطلق على قسم من موضوعات البلاغة هى المحسنات اللفظية والمعنوية ، وبذلك تحدد هذا المصطلح بعد أن كان عاما ، واستقرت علوم البلاغة بعد أن كانت كلها فنا واحدا •

وتابعه الخطيب القزوينى (ـ٧٣٩هـ) وفصل البديع فصلا تاما عن البلاغة ، وجعلها محصورة فى المعانى والبيان • يقول : « ان البلاغة فى الكلام مرجعها الى الاحتراز عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد ، والى تمييز الكلام الفصيح من غيره • والثانى ـ أعنى التمييز ـ منه ما يثبت فى علم متن اللغة أو التصريف أو النحو ، أو يدرك بالحس وهو ما عدا التعقيد المعنوى • وما يحترز به عن الاول ـ أعنى الخطأ ـ هو علم المعانى ، وما يحترز به عن الثانى ـ أعنى التعقيد المعنوى ـ هو علم البيان ، وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته هو علم البديع »[1] •

والبديع ـ عنده ـ ضربان : ضرب يرجع الى المعنى ، وآخر يرجع الى اللفظ • وقد تكلم فى الاول على المطابقة ، والمقابلة ، ومراعاة النظير ، والارصاد ، والمشاكلة ، والاستطراد ، والمزاوجة ، والعكس ، والتبديل ، والرجوع ، والتورية ، والاستخدام ، واللف والنشر ، والجمع ، والتفريق ، والتقسيم ، والجمع مع التفريق ، والجمع مع التقسيم ، والجمع مع التقسيم والتفريق ، والتجريد ، والمبالغة ، والمذهب الكلامى ، وحسن التعليل ، والتفريع ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتأكيد الذم بما يشبه المدح ، والاستتباع ، والادماج ، والتوجيه ، والهزل الذى يراد به الجد ، وتجاهل العارف ، والقول بالموجب ، والاطراد • وتكلم فى الثاني على الجناس ، ورد العجز على الصدر ، والسجع ، والموازنة ، والقلب ، والتشريع ، ولزوم ما لا يلزم •

وقد تابع السكاكى فى هذا التقسيم وزاد عليه فعد من المعنوى ثلاثين

(١) الايضاح ص ٣٣٤ •

ضربا فى « التلخيص » وواحدا وثلاثين فى « الايضاح » ليس فيها الالتفات ، والاعتراض ، والايجاز والاطناب ، لانه ذكرها فى علم المعانى ، وجعل الطباق مشتملا على المقابلة ٠

والفنون البديعية التي زادها على السكاكي فى المعنوية : الارصاد ، والعكس ، والرجوع ، والاستخدام ، والتجريد ، والمبالغة ، والمذهب الكلامى ، وحسن التعليل ، والتفريغ ، وتأكيد الذم بما يشبه المدح ، والادماج ، والهزل الذى يراد به الجد ، والقول بالموجب ، والاطراد ، والاستطراد ٠

وزاد عليه فى المحسنات اللفظية : الموازنة ، والتشريع ، ولزوم مالا يلزم ٠

وذكر أن أصل المحسنات فى القسم اللفظى أن تكون الالفاظ تابعة للمعانى ، فان المعانى اذا أرسلت على سجيتها وتركت وما تريد طلبت لانفسها الالفاظ ولم تكتس الا ما يليق بها ، فان كان خلاف ذلك كان كما قال أبو الطيب :

اذا لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضائهـا فالحسن عنك مغيّبُ

وقد وقع فى كلام بعض المتأخرين ماحمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع الى ماله اسم فى البديع على أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ، ويقول ليبين ، ويخيل اليه انه اذا جمع عدة من أقسام البديع فى بيت فلا يضير أن يقع ما عناه فى عمياء ، وان يوقع السامع من طلبه فى خبط عشواء ٠[1]

وذكر أن بعضهم يذكر أشياء فى البديع لا قيمة لها ، وقد تركها لعدم دخولها فى فن البلاغة نحو ما يرجع فى التحسين الى الخط دون اللفظ على أنه لا يخلو من التكلف ككون الكلمتين متماثلتين فى الخط وكون الحروف منقوطة أو غير منقوطة ، ونحو ما لا أثر له فى التحسين كما يسمى « الترديد » ٠ أو لعدم جدواه نحو ما يوجد فى كتب بعض المتأخرين مما

(١) الايضاح ص ٤٠٠ـ٤٠١ ٠

هو داخل فيما ذكره كما سماه « الايضاح » فانــه فى الحقيقة راجع الى الاطناب أو خلط فيه كما سماه « حسن البيان » ، كما انهم يدخلون فيـه ما يخص السرقات وحسن الابتداء والتخلص والانتهاء • وقد عقد القزوينى لها فصلين ختم بهما كتابه •.

ان البديع عند القزوينى وغيره يعود على الكلام بالتحسين العرضـى لا الذاتى ، مع أن كثيرا من ألوانه يقتضيها الحال ويحتاج اليها الكاتب والشاعر كصحة التقسيم والمقابلة والمطابقة واللف والنشر والتورية •

وسار أكثر البلاغيين على خطاه وخالفه بعضهم ، يقول بهـــاءالدين السبكى معلقا على تعريف القزوينى للبديع : « يحتمل أن يراد بعد معرفة رعاية تطبيقه وضوح الدلالة ، ويكون المراد هو قواعد يعرف بها وجـــوه التحسين ووجوه التطبيق والوضوح • ومعرفة التطبيق والوضوح سابقان على معرفة التحسين فيكون المعانى والبيان جزأين للبديع • ويحتمل أن يـراد قواعد يعرف بها بعد معرفة التطبيق والوضوح وجوه التحسين ، فلا يكون المعانى والبيان جزأين للبديع بل مقدمتين له وقد صرحوا بان المراد هـــو الاول •

والحق الذى لا ينازع فيه منصف أن البديع لا يشترط فيه التطبيق ولا وضوح الدلالة وان كل واحد من تطبيق الكلام على مقتضى الحال ومن الايراد بطرق مختلفة ومن وجوه التحسين قد يوجد دون الآخرين • وأول برهان على ذلك أنك لا تجدهم فى شىء من أمثلة البيان يتعرضون لاشتماله على التطبيق والايراد ، بل تجد كثيرا منها خاليا من التشبيه والاستعـــارة والكناية التى هى طرق علم البيان •

هذا هو الانصاف ، وان كان مخالفا لكلام الاكثرين » •[1]

واضطربوا فى توزيع فنون البديع ، فوضعوا قسما منها فى علم المعانى ،

---

(١) عروس الافراح (شروح التلخيص) ج٤ ص ٢٨٣-٢٨٤ •

وأعادوا بحثها فى علم البديع ، وعلة ذلك أنهم كانوا ينظرون اليـــه من زاويتين :

الاولى : ان تحسينه عرضى .

الثانية : ان تحسينه ذاتى .

فان كان من الاول فهو من البديع ، وان كان من الثانى فهو من علم المعانى ، والى ذلك أشار الدسوقى بقوله : « واعلم أن المحسنات البديعية انما يكون تحسينها عرضيا اذا اعتبرت من حيث انها محسنة ، وهى من هذه الجهة يبحث عنها فى علم البديع . وأما اذا اعتبرت من حيث انها مطابقـــة لمقتضى الحال لكون الحال اقتضاها كانت موجبة للحسن الذاتي ، ومن هذه الجهة يبحث عنها فى علم المعانى . ولهذا ذكر المصنف فيه الالتفات الذى هو من المحسنات البديعية » .[1]

وكان ابن يعقوب المغربى قد ذهب الى هذا الرأى من قبل وقال : « ان البديعيات اذا قصد بها مناسبة الاحوال التي أوردت لاجلهـا عادت معاني ، والمعاني اذا ذهل عن تلك المناسبات فيها وأتى بها لاجل طرافتها فقط كانت بديعيات » .[2]

وكان لفصل البديع عن المعانى والبيان أثر فى اتجاه الادباء فى الفترة المتأخرة الى دراسته والتفصيل فيه والاكثار من فنونه .

واتجه الشعراء الى نظم « البديعيات » فى مدح الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أو الغزل ، وتقييد فنون البديع فى تلك القصائد .

ومن أشهرها بديعية صفى الدين الحلى (ــ٧٥٠هـ) وهى فى مائـة وخمسة وأربعين بيتا مطلعها :

ان جئت سلعا فسل عن جيرة العلم   واقرا السلام على عرب بذى سلم

وضمن كل بيت فيها محسنا من محسنات البديع ، وقد ضمت مائة وخمسين

---

(١) حاشية الدسوقى (شروح التلخيص) ج١ ص ١٣١ .

(٢) مواهب الفتاح (شروح التلخيص) ج٣ ص ٢٢٤ .

محسنا ، حيث جعل فيها للجناس اثنى عشر ضربا نظمها فى الابيات الاولى •
وسماها « الكافية البديعية فى المدائح النبوية » وشرحها بكتاب سماه « النتائج الالهية فى شرح الكافية البديعية » ، وصنف عبدالغنى النابلسى على هـذه القصيدة شرحا سماه « الجوهر السنى فى شرح بديعية الصفى » •

ونظم ابن جابر الاندلسى (ـ٧٨٠هـ) بديعية ضمن كل بيت فيها نوعا من غير أن يسميه ، ومطلعها :

بطيبـــة انزل ويمم ســــيد الامم   وانثر له المدح وانشر اطيب الكلم

وسماها « الحلة السيرا فى مدح خير الورى » ، وشرحها الرعينى (ـ٧٧٩هـ) بكتاب سماه « طراز الحلة وشفاء الغلة » •

ونظم عزالدين الموصلى (ـ٧٨٩هـ) بديعية التزم فيها تسمية الفـــن البديعى موريا بكلمة عنه فى البيت الذى يتضمنه ، ومطلعها :

براعة تستهل الدمع فى العلم   عبارة عن نداء المفرد العلم

ونظم ابن حجة الحموى (ـ٨٣٧هـ) بديعية سماهـــا « تقديم أبى بكر » وأبياتها مائة واثنان وأربعون بيتا ، ومطلعها :

لى فى ابتدا مدحكم يا عرب ذى سلم   براعة تستهل الدمع فى العلم

وشرحها فى كتابه « خزانة الادب » •

واستمر الشعراء فى نظم البـــديعيات ، فكان للسيوطى (ـ٩١١هـ) بديعيةسماها « نظم البديع فى مدح خيرشفيع » ، ولعائشة الباعونية (ـ٩٢٢هـ) بديعية سمتها « الفتح المبين فى مدح الامين » مطلعها :

فى حسن مطلع أقمارى بذى سلم   أصبحت فى زمرة العشاق كالعلم

ولابن معصوم المدني (ـ١١١٧ هـ) بديعية مطلعها :

حسن ابتدائي بذكري جيرة الحرم   له براعة شوق تستهل دمـى

وقد شرحها بكتابه « أنوار الربيع فى أنواع البديع » •

ولعبدالغنى النابلسى (ـ١١٤٣هـ) بديعيتان لم يلتزم فى أولاهما تسمية

النوع والتزمها فى الثانية ، ومطلع الاولى :

يا منزل الركب بين البان فالعلم
من سفح كاظمة حييت بالديم

ومطلع الثانية :

يا حسن مطلع من أهوى بذى سلم
براعة الشوق فى استهلالها ألمى

وهناك بديعيات أخر[1] معظمها من البحر البسيط وروى الميم ، وفى مدح النبى الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه .

وبقى البديع تتقاذفه أشعار أصحاب البديعيات وتقضى على طلاوته كتب المختصرين حتى أصبح صيغا جامدة وصورا حائلة ليس فيها النفع وانارة السبيل .

وما أحوجنا اليوم الى أن نعيد النظر فى فنونه ، ونأخذ منها ما كثر استعماله في كلام العرب البلغاء وماله تأثير في التعبير كي نبعث الحياة فيه ونجعله نافعا فى أدبنا الحديث .

---

(١) تنظر البديعيات فى كتابنا : القزوينى وشروح التلخيص ص ٤٤٥ وما بعدها . ومقدمة كتاب أنوار الربيع ج١ ص ٢٧ وما بعدها ، ودائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية) ج٣ هامش ص ٤٧٠ ، والبلاغة تطور وتاريخ ص ٣٥٨ وما بعدها ، والصبغ البديعى فى اللغة العربية ص ٣٧٠ وما بعدها .

المصـــادر

١ ـ أبو هلال العسكرى ومقاييسه البلاغية والنقـدية ـ الدكتور بدوى طبانة • انطبعة الثانية ـ القاهرة ١٩٦٠ •

٢ ـ أسرار البلاغة ـ عبدالقاهر الجرجاني • تحقيق أحمد مصطفى المراغي الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م •

٣ ـ اعجاز القرآن ـ أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني • تحقيق السيد أحمد صقر ـ دار المعارف ـ القاهرة •

٤ ـ الاغاني ـ ابو الفرج الاصفهاني ـ مخطوطة دار الـكتب المصرية رقـم ١٣١٨ ـ أدب •

٥ ـ الامتاع والمؤانسة ـ أبو حيان التوحيدى • تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين • القاهرة •

٦ ـ أنوار الربيع في أنواع البديع ـ علي صدرالدين بن معصوم المدنى • تحقيق شاكر هادى شـــكر • النجف الاشـــرف ـ الطبعة الاولى ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م •

٧ ـ الايضاح ـ الخطيب القزويني • باشراف محمد محيي الدين عبدالحميد • مطبعة السنة المحمدية ـ القاهرة •

٨ ـ الايضاح في شرح مقامات الحريرى ـ المطرزى • طبعة حجرية في ايران •

٩ ـ البديع ـ عبدالله بن المعتز • طبعة المستشرق كراتشكوفســـكي • لندن ١٩٣٥ •

١٠ـ البديع في نقد الشعر ـ أسامة بن منقذ • تحقيق الدكتورين أحمد أحمد بدوى وحامد عبدالمجيد • القاهرة ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م •

١١ـ بديع القرآن ـ ابن أبي الاصبع المصرى • تحقيق الدكتور حفني محمد شرف • القاهرة ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م •

١٢ـ البرهان في وجوه البيـــان ـ أبو الحســـين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب • تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي • بغداد ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م •

١٣ـ البلاغة ـ أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ـ تحقيق الدكتور رمضان عبدالتواب • القاهرة ١٩٦٥ م •

١٤ـ بلاغة أرسطو بين العرب واليونان ـ الدكتور ابراهيم ســلامة • الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م •

١٥ـ البلاغة تطور وتاريخ ـ الدكتور شوقي ضيف • القاهرة ١٩٦٥ م •

١٦ـ البلاغة عند السكاكي ـ الدكتور أحمد مطلوب • الطبعـــة الاولى ـ

بغداد ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م ٠
١٧ـ البيان والتبيين ـ الجاحظ ٠ تحقيق عبدالسلام هارون ٠ القاهرة ٠
١٨ـ البيان العربي ـ الدكتور بدوى طبانة ٠ الطبعة الرابعة ـ القاهرة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م ٠
١٩ـ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن ـ ابن أبي الاصبع المصرى ٠ تحقيق الدكتور حفني محمد شرف ٠ القاهرة ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م ٠
٢٠ـ التلخيص في علوم البلاغة ـ الخطيب القزويني ٠ تحقيق عبدالرحمن البرقوقي ٠ الطبعة الثانية القاهرة ١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣٢ م ٠
٢١ـ ثلاث رسائل في اعجاز القرآن :
١ـ بيان اعجاز القرآن ـ أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي ٠
٢ـ النكت في اعجاز القرآن ـ أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ٠
٣ـ الرسالة الشافية ـ أبو بكر عبدالقاهر الجرجاني ٠
تحقيق الاستاذ محمد خلف الله أحمد والدكتور محمد زغلول سلام ٠ دار المعارف ـ القاهرة ٠
٢٢ـ الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ـ ضياءالدين بن الاثير ٠ تحقيق الدكتورين مصطفى جواد وجميل سعيد ٠ بغداد ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م ٠
٢٣ـ الحيوان ـ الجاحظ ٠ تحقيق عبدالسلام هارون ٠ القاهرة ٠
٢٤ـ دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) ٠
١ـ بديع ـ تورى وعبدالوهاب حمودة ٠
٢ـ بلاغة ـ شادة وأمين الخولى ٠
٢٥ـ دلائل الاعجاز ـ عبدالقاهر الجرجاني ٠ الطبعة الخامسة القاهرة ١٣٧٢ هـ ٠
٢٦ـ ديوان جرير ـ تحقيق محمد الصاوى ٠ الطبعة الاولى القاهرة ٠
٢٧ـ سر الفصاحة ـ ابن سنان الخفاجي ٠ تحقيق عبدالمتعال الصعيدى ٠ القاهرة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣ م ٠
٢٨ـ شرح ديوان صريع الغواني ٠ تحقيق الدكتور سامي الدهان ٠ دار المعارف ـ القاهرة ٠
٢٩ـ شروح التلخيص :
١ـ المختصر ـ سعدالدين التفتازاني ٠
٢ـ مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ـ ابن يعقوب المغربي ٠
٣ـ عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح ـ بهاءالدين السبكي ٠
٤ـ الايضاح ـ الخطيب القزويني ٠
٥ـ حاشية الدسوقي على شرح السعد ـ محمد بن محمد عرفة الدسوقي ٠ القاهرة ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي ٠
٣٠ـ الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ـ مصطفى عبداللطيف

السحرتي · القاهرة ١٩٤٨ ·
٣١ــ الشعر والشعراء ــ ابن قتيبة · تحقيق أحمد محمد شاكر · دار المعارف ــ القاهرة ١٣٨٦ هـ ــ ١٩٦٦ م ·
٣٢ــ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ــ أحمد بن فارس · تحقيق الدكتور مصطفى الشويمي · بيروت ١٣٨٣ هـ ــ ١٩٦٤ م ·
٣٣ــ الصبغ البديعي في اللغة العربية ــ الدكتور احمد ابراهيم موسى · القاهرة ١٣٨٨ هـ ــ ١٩٦٩ م ·
٣٤ــ الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز · يحيى بن حمزة العلوى · القاهرة ١٩١٤ م ·
٣٥ــ العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده ــ ابن رشيق القيرواني · تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد · الطبعة الثانية القاهرة ١٣٧٤ هـ ــ ١٩٥٥ م ·
٣٦ــ عيون الاخبار ــ ابن قتيبة · دار الكتب المصرية ــ القاهرة ·
٣٧ــ فن التشبيه ــ علي الجندى · الطبعة الثانية القاهرة ١٣٨٦هـ ــ ١٩٦٦م
٣٨ــ فن القول ــ أمين الخولي · القاهرة ١٣٦٦ هـ ــ ١٩٤٧ م ·
٣٩ــ في الميزان الجديد ــ الدكتور محمد مندور · الطبعة الثانية القاهرة ·
٤٠ــ فى النقد الادبي ــ الدكتور شوقي ضيف · القاهرة ١٩٦٢ م ·
٤١ــ قدامة بن جعفر والنقد الادبي ــ الدكتور بدوى طبانة · الطبعة الثانية القاهرة ١٣٧٨ هـ ــ ١٩٥٨ م ·
٤٢ــ القزويني وشروح التلخيص ــ الدكتور أحمد مطلوب · الطبعة الاولى بغداد ١٣٨٧ هـ ــ ١٩٦٧ م ·
٤٣ــ قضايا النقد الادبي والبلاغة ــ الدكتور محمد زكي العشماوى · دار الكاتب العربي للبطباعة والنشر ــ القاهرة ·
٤٤ــ قواعد الشعر ــ أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب · تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي · القاهرة ١٣٦٧ هـ ــ ١٩٤٨ م ·
٤٥ــ الكامل ــ أبو العباس المبرد · طبعة الدكتور زكي مبارك · القاهرة ·
٤٦ــ كتاب الصناعتين ــ أبو هلال العسكرى · تحقيق محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل ابراهيم · الطبعة الاولى القاهرة ١٣٧١هـ ــ ١٩٥٢م
٤٧ــ الكشاف ــ جارالله الزمخشرى · الطبعة الثانية القاهرة ١٣٧٣ هـ ــ ١٩٥٣ م ·
٤٨ــ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ــ ضياءالدين بن الاثير · تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد · القاهرة ١٣٥٨ هـ ــ ١٩٣٩ م ·
٤٩ــ مجلة الاديب البيروتية ·
٥٠ــ المصباح في علم المعاني والبيان والبديع ــ بدرالدين بن مالك · الطبعة الاولى القاهرة ١٣٤١ هـ ·
٥١ــ المطول على التلخيص ــ سعدالدين التفتازاني · تركية ١٣٧٠ هـ ·
٥٢ــ معجم الادباء ــ ياقوت الحموى · تحقيق د·س مرجليوث · الطبعة الثانية القاهرة ١٩٢٣ م ·

٥٣ـ مفتاح العلوم ـ السكاكي • الطبعة الاولى القاهرة ١٣٥٦هـ ـ١٩٣٧م•
٥٤ـ المفردات في غريب القرآن ـ الراغب الاصفهاني • تحقيق محمد سيد كيلاني • القاهرة ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م •
٥٥ـ مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب • أمين الخولي • القاهرة ١٩٦١ م •
٥٦ـ نظرية عبدالقاهر في النظم ـ الدكتور درويش الجندى القاهرة١٩٦٠م•
٥٧ـ النقد الادبي من خلال تجاربي ـ مصطفى عبداللطيف السحرتي • القاهرة ١٩٦٢ م •
٥٨ـ نقد الشعر ـ قدامة بن جعفر • تحقيق كمال مصطفى • القاهرة الطبعة الثانية ١٩٦٣ م •
٥٩ـ النقد المنهجي عند العرب ـ الدكتور محمد مندور • الطبعة الثانية القاهرة •
٦٠ـ النهاية في غريب الحديث والاثر ـ أبو السعادات المبارك بن محمد الجزرى (ابن الاثير) • تحقيق طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي • القاهرة الطبعة الاولى ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م •
٦١ـ نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ـ فخرالدين الرازى • القاهرة١٣١٧هـ
٦٢ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه ـ القاضي علي بن عبدالعزيزالجرجاني تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوى • الطبعة الثالثة القاهرة •

الفهـــارس

الموضوعات

المصطلحات

الهمزة

البـــاء

التـــاء

الجيم

الحاء

الخاء

الدال

الذال

القاف

الكاف

اللام

الميم

النون

الهاء

الواو

الآيـات

الاحـــاديث

القوافي

البـــاء

الجيــم

الحـــاء

الـــدال

الـــراء

الاعـــلام

الهمزة

البـــاء

التـــاء

الثـــاء

الجيـم

الحـاء

الخـاء

الـدال

الـراء

الــزاي

الســين

الشــين

الصــاد

العــين

الغين

الفاء

القاف

اللام

الميم

النــون

الهـــاء

الواو

اليـــاء

الكتب

الهمزة

الباء

التاء

الجيم

الحاء

الخــاء

الــدال

الســين

الشــين

الصاد

الطــاء

العــين

الفــاء

القــاف

الــكاف

الــلام

الميم

النون

للمؤلف

أولا ــ دراسات :

١ ــ البلاغة عند السكاكي · بغداد ١٩٦٤ ·

٢ ــ القزويني وشروح التلخيص · بغداد ١٩٦٧ ·

٣ ــ النقد الادبي الحديث في العراق · القاهرة ١٩٦٨ ·

٤ ــ الرصافي ــ آراؤه اللغوية والنقدية · القاهرة ١٩٧٠ ·

٥ ــ مصطلحات بلاغية · بغداد ١٩٧٢ ·

ثانيا ــ بحــوث :

١ ــ اتجاهات البلاغة العربية · (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد ــ العدد الخامس ١٩٦٢) ·

٢ ــ أثر الفلسفة في البلاغة العربية · (مجلة المعلم الجديد ــ المجلد ٢٤ العدد الثاني ١٩٦١) ·

٣ ــ أثر القرآن في نشأة البلاغة · (مجلة المعلم الجديد ــ المجلد ٢١ ــ العدد الثالث ١٩٥٨) ·

٤ ــ أثر المعلمين في البلاغة · (مجلة المعلم الجديد ــ المجلد ٢٤ العــــدد الثالث ١٩٦١) ·

٥ ــ البلاغة عند ابن الاثير · (المعلم الجديد ــ المجلد ٢٢ العدد الخامس ١٩٥٩) ·

٦ ــ التفسير الادبي · (مجلة الرسالة الاسلامية ــ العدد ١٨ سنة ١٩٦٩)

٧ ــ جنوح النقد · (مجلة الرسالة الاسلامية ببغداد ــ العــــدد ٣٧ ــ سنة ١٩٧١) ·

٨ ــ دفاع عن البلاغة · (مجلة الاقلام ــ العدد ١٢ ــ السنة الرابعة ــ آب ١٩٦٨) ·

٩ ـ رأي في البلاغة العربية • (مجلة الكتاب ببغداد ـ العدد الاول ١٩٦٢)

١٠ـ الرصافي ـ آراؤه في اللغة والنقد • (مجلة معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة ـ العدد الاول ١٩٦٩) •

١١ـ الرصافي اللغوي • (مجلة كلية الشريعة بجامعة بغداد ـ العـــدد الخامس ١٩٦٩) •

١٢ـ الرصافي الناقد • (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد ـ العدد الثاني عشر ١٩٦٩) •

١٣ـ عبدالقاهر الجرجاني ـ حياته وآثاره • (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد العدد الخامس عشر ١٩٧٢) •

١٤ـ القزويني والبلاغة الحديثة • (مجنة كلية الآداب بجامعة بغداد ـ العدد السابع ١٩٦٤) •

١٥ـ مصطفى جواد لغويا • (مجلة الرسالة الاسلامية ببغداد ـ العدد ٣١ و٣٢ سنة ١٩٧١) •

١٦ـ منهج السكاكي في البلاغة • (مجلة المجمع العلمي العراقي ـ المجلد العاشر ١٩٦٣) •

١٧ـ مقالات وقصائد في الصحف والمجلات •

ثالثا ـ تحقيق :

١ ـ ديوان القطامي • بيروت ١٩٦٠ •

٢ ـ شعر عروة بن حزام • بغداد ١٩٦١

٣ ـ ديوان قيس بن الخطيم • بغداد ١٩٦٢ •

٤ ـ التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد الســـكري لابن جني • بغداد ١٩٦٢

٥ ـ فوح الشذا بمسألة كذا لابن هشام • بغداد ١٩٦٣ •

٦ ـ التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القـــرآن لابن الزملكاني • بغداد ١٩٦٤ •

٧ ـ البخلاء للخطيب البغدادي • بغداد ١٩٦٤ •

٨ ـ ديوان ديك الجن • بيروت ١٩٦٦ •

٩ ـ من شعر أبي حيان الاندلسي • بغداد ١٩٦٦ •

١٠ـ البرهان في وجوه البيان لابن وهب الكاتب • بغداد ١٩٦٧

١١ـ الجمان في تشبيهات القرآن . لابن ناقيا البغدادي . بغداد ١٩٦٨ .
١٢ـ ديوان أبي حيان الاندلسي . بغداد ١٩٦٩ .

رابعا ـ كتب مدرسية :

١ ـ النصوص الادبية للصفوف الرابعة التجارية . بغداد ١٩٥٧ .
٢ ـ قواعد اللغة العربية للصفوف الرابعة التجارية . بغداد ١٩٥٧
٣ ـ قواعد اللغة العربية للصفوف الخامسة التجارية . بغداد ١٩٥٨ .
٤ ـ لغتي للصفوف الخامسة الابتدائية . بغداد ١٩٥٩ وما بعدها .
٥ ـ لغتي للصفوف السادسة الابتدائية . بغداد ١٩٥٩ وما بعدها .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٣٩٠ لسنة ١٩٧٢
١٩٧٢/٦/٢٧/١٠٠٠
مطبعة العانى ـ بغداد



٣٠٠ فلس